الْبَابُ الرَّابِعُ

(النَّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَدَعَاوَى الْخُصُومِ)

أَبْرَزُ الدَّعَاوَى الَّتِي أُثِيرَتْ حَوْلَ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَالرَّدُّ عَلَيْهَا

وهي:

الأولُ: الادِّعَاءُ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ مَجْهُولَ النَّسَبِ.

الثَّانِي: الزَّعْمُ أَنَّ أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ مِنَ الطَّامِعِينَ فِي الدُّنْيَا.

الثَّالِثُ: الزَّعْمُ أَنَّهُ كَانَ رَجُلا شَهْوَانِيًّا.

الرَّابِعُ: الادِّعَاءُ أَنَّ مُحَمَّدًا كَانَ رَجُلا دَمَوِيًّا .

الْخَامِسُ: الزعم بأن النَّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْسَ خَاتَمَ الأَنْبِيَاءِ

السَّادِسُ: الزعم بأن النَّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان انْتِهَازِيًّا.

السَّابِعُ: الزَّعْمُ بَأَنَّ الْقُرْآنَ لَيْسَ وَحْيًا إِلَهِيًّا وَإِنَّمَا هُوَ مِنْ تَأْلِيفِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الثَّامِنُ: الزَّعْمُ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ مَرِيضًا نَفْسِيًّا.

التاسع: أَنَّ النَّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُقِرُّ الْعُبُودِيَّةَ وَيُرَغِّبَ فِي مُلْكِ الْيَمِينِ.

العَاشِر: الزعم أن محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اقتبس وحيَه من اليهودية والنصرانية

obeikandl.com

البَابُ الرَّابِعُ

(النَّبيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وَدَعَاوَى الْخُصُومِ)

أَبْرَزُ الدَّعَاوَى الَّتِي أُثِيرَتْ حَوْلَ النَّبيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ، وَالرَّدُّ عَلَيْهَا

لَقَدْ وُجِّهَتِ الْكَثِيرُ مِنَ الشُّبُهَاتِ حَوْلَ شَخْصِيَّةِ النَّبيِّ مُحَمَّدٍ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عَلَى اعْتِبَارِ أَنَّ هَذَا مُوَجَّهٌ فِي الْأَصْلِ إِلَى رِسَالَتِهِ الَّتِي حَمَلَهَا وَدِينِهِ الَّذِي جَاءَ بِهِ، كَمَا أَنَّ إِثَارَةَ هَذِهِ الشُّبُهَاتِ هُوَ جُزْءٌ مِنْ مُخَطَّطٍ كَبِيرٍ يَهْدِفُ إِلَى عَزْلِ الْإِسْلَامِ وَرَسُولِهِ عَنْ حَيَاةِ الْمُسْلِمِينَ خَاصَّةً وَالنَّاسِ عَامَّةً، لِيُحِلَّ بَدَلًا عَنْ ذَلِكَ قِيَمَ الْغَرْبِ وَعَادَاتِهِ وَقَوَانِينَهُ.

وَبِإِيجَازٍ سَنَذْكُرُ بَعْضًا مِنْ هَذِهِ الِافْتِرَاءَاتِ الَّتِي أُثِيرَتْ عَلَى النَّبيّ الْكَرِيمِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وَنُتْبِعُهَا بِالتَّفْنِيدِ وّالرَّدِّ، وَهَاكَ أَبْرَزَ مَا قِيلَ: «

الْأُولُ: الِادِّعَاءُ أَنَّهُ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كَانَ مَجْهُولَ النَّسَبِ.

الثَّانِي: دَعْوَى عَدَمِ زُهْدِهِ وَأَنَّهُ كَانَ مِنَ الطَّامِعِينَ فِي الدُّنْيَا.

الثَّالِثُ: الزَّعْمُ أَنَّهُ كَانَ رَجُلًا شَهْوَانِيًّا.

الرَّابِعُ: الِادِّعَاءُ أَنَّ مُحَمَّدًا كَانَ رَجُلًا دَمَوِيًّا .

الْخَامِسُ: الِادِّعَاءُ أَنَّ مُحَمَّدًا هُوَ الَّذِي أَلَّفَ الْقُرْآنَ.

السَّادِسُ: الزَّعْمُ أَنَّ الْوَحْيَ الْمُحَمَّدِيَّ كَانَ عِبَارَةً عَنْ أَمْرَاضٍ نَفْسِيَّةٍ وَعَقْلِيَّةٍ.

السَّابِعُ: الزَّعْمُ أَنَّ النَّبيَّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يُقِرُّ الْعُبُودِيَّةَ وَيُرَغِّبُ فِي مِلْكِ الْيَمِينِ.

الثَّامِنُ: الزَّعْمُ أَنَّ الْوَحْيَ مُقْتَبَسٌ مِنَ الْيَهُودِيَّةِ وَالنَّصْرَانِيَّةِ.

الادِّعَاءُ الأول :

أَنَّهُ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كَانَ مَجْهُولَ النَّسَبِ،

وأنه لم يُخبِرْ عنْ نَسَبِهِ الشَّرِيفِ

يَزْعُمُ الْبَعْضُ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كَانَ مَجْهُولَ النَّسَبِ ، وَيَسْتَدِلُّونَ عَلَى دَعْوَاهُمْ بِمَا يَلِي :

- أَنَّهُ لَمْ يُخْبِرْ بِشَيْءٍ عَنْ مَوْلِدِهِ وَلَا عَنْ أُسْرَتِهِ، وَلَا عَنْ حَيَاتِهِ فِي صِغَرِهِ، وَأَنَّ الْعَرَبَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ كَانَتْ تُطْلِقُ (ابْنَ عَبْدِ الله) عَلَى مَنْ لَا يَعْرِفُونَ نَسَبَهُ.

وَلِلرَّدِّ عَلَى الِادِّعَاءِ أَقُولُ:

أَوَّلا: إِذَا كَانَ النَّبِيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ مَجْهُولَ النَّسَبِ – كَمَا يَدَّعِي الْبَعْضُ – فَلِمَاذَا سَكَتَ الْكُفَّارُ عَنِ التَّشْهِيرِ بِهِ؟!

لَقَدْ وُلِدَ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بَيْنَ قَوْمٍ هُمْ أَكْثَرُ النَّاسِ اهْتِمَامًا بِالْأَنْسَابِ، وَرَغْمَ هَذَا لَمْ يَتَعَرَّضْ أَحَدٌ مِنْهُمْ لِنَسَبِهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بِالطَّعْنِ أَوِ التَّشْكِيكِ، وَلَوْ وَجَدُوا فِي نَسَبِهِ مَغْمَزًا مَا تَوَرَّعُوا فِي فَضْحِهِ وَإِظْهَارِهِ، بَلْ ثَبَتَ الْعَكْسُ، حَيْثُ أَثْنَوْا عَلَى نَسَبِهِ وَحَسَبِهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

قَالَ الذَّهَبِيُّ فِي ذِكْرِ نَسَبِهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: « هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الله بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ (وَاسْمُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ شَيْبَةُ) بْنِ هَاشِمٍ (وَاسْمُهُ عَمْرُو) بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ (وَاسْمُهُ

الْمُغِيرَةُ) بْنِ قُصَيٍّ (وَاسْمُهُ زَيْدٌ) بْنِ كِلَابِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيِّ بْنِ غَالِبِ بْنِ فِهْرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ مُضَر بْنِ نِزَار بْنِ مَعَدِّ بْنِ عَدْنَانَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِمَا وَعَلَى نَبِيِّنَا وَسَلَّمَ – بِإِجْمَاعِ النَّاسِ »(١).

وَقَالَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ: « مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ قُصَيِّ بْنِ كِلَابِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ كَعبِ بْنِ لؤَيِّ بْنِ غالِبِ بْنِ فِهْرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ بْنِ خُزَيْمَةَ بْنِ مُدْرِكَةَ بْنِ إِلْيَاسَ بْنِ مُضَرَ بْنِ نِزَارِ بْنِ مَعَدِّ بْنِ عَدْنَانَ »(٢).

وَقَالَ ابْنُ حَزْمٍ: « وَعَدْنَانُ بِلَا شَكَّ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ الذَّبِيحِ رَسُولِ الله ابْنِ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ الله وَرَسُولِهِ، صَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَيْهِمَا وَعَلَى جَمِيعِ رُسُلِهِ وَأَنْبِيَائِهِ »(٣).

فَإِذَا كَانَ الْمُؤَرِّخُونَ يَذْكُرُونَ لِرَسُولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِشْرِينَ جَدًّا مُتَّفَقًا عَلَيْهِمْ بَيْنَهُمْ جَمِيعًا، فَهَلْ يُعْقَلُ أَنْ يَطْعَنَ أَحَدٌ فِي نَسَبِهِ الشَّرِيفِ، وَهُوَ لَا يَحْفَظُ عَنْ أَجْدَادِ نَفْسِهِ عَشْرَةَ أَجْدَادٍ ؟!

وَلْنَتَدَبَّرْ شَهَادَةَ عَدُوِّ الْإِسْلَامِ – آنَئِذٍ- وَهُوَ (أَبُو سُفْيَانَ) وَلَمْ يَكُنْ قَدْ أَسْلَمَ، لَمَّا سَأَلَهُ هِرَقْلُ: كَيْفَ نَسَبُهُ فِيكُمْ؟ قَالَ: « هُوَ فِينَا ذُو نَسَبٍ ». فَإِذَا كَانَ هَذَا الِاعْتِرَافُ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَدَاوَةً لله وَرَسُولِهِ فَهَلْ يَكُونُ لِأَحَدٍ طَعْنٌ بَعْدَ ذَلِكَ فِي

---

١) سير أعلام النبلاء – الإمام الذهبي (١/ ١٤٣).
٢) أورده البخاري في كتاب مناقب الأنصار، باب: مبعث النَّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
٣) جوامع السيرة، ابن حزم الظاهري، تحقيق: أحمد شاكر، ص (٢) .

النَّسَبِ الشَّرِيفِ؟!!.

ثانيًا: أَنَّهُ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لَمْ يُخْبِرْ بِشَيْءٍ عَنْ مَوْلِدِهِ وَلَا عَنْ أُسْرَتِهِ، وَلَا عَنْ حَيَاتِهِ فِي صِغَرِهِ.

وللردِّ على ذلك نقول :

لَقَدْ ثَبَتَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أَخْبَرَ عَنْ نَسَبِهِ الشَّرِيفِ فِي أَكْثَرَ مِنْ مَوْضِعٍ :

• فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ **{ بُعِثْتُ مِنْ خَيْرِ قُرُونِ بَنِي آدَمَ قَرْنًا فَقَرْنًا حَتَّى كُنْتُ مِنَ الْقَرْنِ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ }**(١).

• وعَنْ وَاثِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يَقُولُ: **{ إِنَّ اللهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ }**(٢) .

وَعَنْ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ قَالَ: « أَتَى نَاسٌ مِنَ الْأَنْصَارِ النَّبِيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فَقَالُوا: إِنَّا نَسْمَعُ مِنْ قَوْمِكَ حَتَّى يَقُولَ الْقَائِلُ مِنْهُمْ: إِنَّمَا مِثْلُ مُحَمَّدٍ مِثْلُ نَخْلَةٍ نَبَتَتْ فِي كِبَا - قَالَ حُسَيْنٌ: الْكِبَا: الْكُنَاسَةُ -. فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **{ أَيُّهَا النَّاسُ، مَنْ أَنَا؟ }**. قَالُوا: أَنْتَ رَسُولُ الله. قَالَ: **{ أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ** - قَالَ: فَمَا سَمِعْنَاهُ قَطُّ يَنْتَمِي قَبْلَهَا - **أَلَا إِنَّ اللهَ خَلَقَ**

---

١) رواه البخاري برقم (٣٥٥٧).
٢) رواه مسلم برقم (٢٧٧٦).

خَلْقَهُ، فَجَعَلَنِي مِنْ خَيْرِ خَلْقِهِ، ثُمَّ فَرَّقَهُمْ فِرْقَتَيْنِ فَجَعَلَنِي مِنْ خَيْرِ الْفِرْقَتَيْنِ، ثُمَّ جَعَلَهُمْ قَبَائِلَ فَجَعَلَنِي مِنْ خَيْرِهِمْ قَبِيلَةً، ثُمَّ جَعَلَهُمْ بُيُوتًا، فَجَعَلَنِي مِنْ خَيْرِهِمْ بَيْتًا، وَأَنَا خَيْرُكُمْ بَيْتًا وَخَيْرُكُمْ نَفْسًا } »(١).

وَعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: { خَرَجْتُ مِنْ نِكَاحٍ وَلَمْ أَخْرُجْ مِنْ سِفَاحٍ مِنْ لَدُنْ آدَمَ إِلَى أَنْ وَلَدَنِي أَبِي وَأُمِّي ، لَمْ يُصِبْنِي مِنْ سِفَاحِ الْجَاهِلِيَّةِ شَيْءٌ }(٢).

• وَأَمَّا نَسَبُهُ مِنْ جِهَةِ أُمِّهِ فَهِيَ: آمِنَةُ بِنْتُ وَهْبِ بْنِ مَنَافِ بْنِ زُهْرَةَ بْنِ كِلَابِ ابْنِ مُرَّةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيِّ بْنِ غَالِبِ بْنِ فِهْرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّضْرِ.....

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ هَذَا النَّسَبَ: « فَرَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَشْرَفُ وَلَدِ آدَمَ حَسَبًا ، وَأَفْضَلُهُمْ نَسَبًا مِنْ قِبَلِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ »(٣).

فَهَلْ بَعْدَ هَذَا يَأْتِي مَنْ يَشُكُّ فِي سُمُوِّ نَسَبِهِ وَعَظِيمِ حَسَبِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟!

***

١) رواه أحمد برقم (١٧٥١٧)، والترمذي باختلاف يسير عن العباس برقم (٣٦٠٨)، وقال: حديث حسن.
٢) رواه الطبراني في المعجم الأوسط برقم (٤٧٢٨)، وابن أبي شيبة في مصنفه برقم (٣١٦٤١)، وأبو بكر الآجري في كتابه الشريعة برقم (٩٥٧)، واللفظ له. وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع (٣٢٢٥).
٣) السيرة النبوية، لابن هشام، (١/ ١١٠). تحقيق السَّقا.

orelkamal.com

الادِّعَاءُ الثاني :

الزَّعْمُ أنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ مِنَ الطَّامِعِينَ فِي الدُّنْيَا؛ وَلِهَذَا قَامَ بِالْغَزْوِ وَالْحَرْبِ

قَالَ (جولد تسيهر) أَحَدُ غُلَاةِ الْمُسْتَشْرِقِينَ: « إِنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَحَوَّلَ مِنَ الزُّهْدِ فِي بِدَايَةِ دَعْوَتِهِ بِمَكَّةَ إِلَى الطَّمَعِ فِي الْمَدِينَةِ، وَتَرَكَ مَبْدَأَ التَّأَسِّي بِالْأَنْبِيَاءِ »(١)

وَبِهَذَا الْقَوْلِ تَأَثَّرَ (نيكولسون) فَكَتَبَ: « إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ هِجْرَتِهِ وَانْتِصَارَاتِهِ تَحَوَّلَ إِلَى سُلْطَانِ أَرْضٍ، وَحَوَّلَ فَعَالِيَّاتِهِ الدِّينِيَّةِ إِلَى مَسَالِكَ أَرْضِيَّةٍ، وَجَمَعَ لِنَفْسِهِ كُلَّ السُّلْطَاتِ، فَأَصْبَحَ أَمِيرًا وَمُشَرِّعًا وَسِيَاسِيًّا وَدُبْلُومَاسِيًّا »(٢).

وَلِلرَّدِّ عَلَى هَذَا الزَّعْمِ أَقُولُ:

الثَّابِتُ الْمَعْلُومُ الْمَنْقُولُ أَنَّ النَّبِيَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كَانَ مِنْ أَزْهَدِ النَّاسِ وَأَحْسَنِهِمْ خُلُقًا، سَوَاءٌ قَبْلَ الْهِجْرَةِ وَ بَعْدَهَا، وَلْنَتَدَبَّرْ بَعْضًا مِمَّا يَلِي:

• عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **{ الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنُ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ }**(٣). فَهِيَ إِذًا لَيْسَتْ مِمَّا يَجِبُ التَّمَسُّكُ بِهِ.

• وَعَنْ عَبْدِ الله بْنِ الشِّخِّيرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **وَهُوَ** يَقْرَأُ:

---

١) العقيدة والشريعة في الإسلام (ص١٨، ١٩).

٢) .**Nicholson. A literary History Of Arabs**. نقلًا عن المستشرق نيكولسون ومفترياته ص (٢٩٤) .

٣) رواه مسلم برقم (٢٩٥٦) .

oneKanric.com

﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢﴾ قَالَ: { يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: مَالِي مَالِي، وَهَلْ لَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ، أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ }(١).

• وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: « مَا شَبِعَ آلُ مُحَمَّدٍ مُنْذُ قَدِمَ الْمَدِينَةَ مِنْ طَعَامِ بُرٍّ ثَلَاثَ لَيَالٍ تِبَاعًا حَتَّى قُبِضَ »(٢).

وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ قِتَالَ الْكُفَّارِ الْمُعْتَدِينَ عَلَى دِينِ الله كَانَ مَوْجُودًا عِنْدَ الْأَنْبِيَاءِ السَّابِقِينَ، وَقَدْ سُجِّلَ ذَلِكَ فِي سِفْرِ التَّثْنِيَةِ: « وَإِذَا دَنَوْتَ مِنْ قَرْيَةٍ لِتُقَاتِلَهَا فَادْعُهُمْ أَوَّلًا إِلَى الصُّلْحِ فَإِذَا قَبِلَتْ وَفَتَحَتْ لَكَ الْأَبْوَابَ فَكُلُّ الشَّعْبِ الَّذِي بِهَا لَكَ عَبِيدٌ يُعْطُونَكَ الْجِزْيَةَ »(٣).

وَقَدْ فَعَلَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ذَلِكَ، وَلَمْ يَقُلْ أَحَدٌ عَنْهُ إِنَّهُ طَلَبَ الْمُلْكَ، وَهَذَا هُوَ مَا فَعَلَهُ رَسُولُ الله مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَجْعَلْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِ جِزْيَةٌ عَبْدًا، بَلْ لَهُ مَا لَنَا وَعَلَيْهِ مَا عَلَيْنَا.

إِنَّ مَا فَعَلَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ جِهَادٍ وَقِتَالٍ لَمْ يَكُنْ أَمْرًا جَدِيدًا وَإِنَّما كَانَ مَوْجُودًا وَمُشَرَّعًا مِنْ قَبْلُ، فَلَوْ كَانَ الْقِتَالُ الَّذِي قَامَ بِهِ الْمُصْطَفَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَجْلِ الدُّنْيَا وَمَطَامِعِهَا وَمُلْكِهَا لَوَقَعَ هَذَا الِاتِّهَامُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ السَّابِقِينَ، وَهُمْ جَمِيعًا

---

١) رواه مسلم برقم (٢٩٥٨).
٢) متفق عليه: رواه البخاري برقم (٦٤٥٤)، ومسلم برقم (٢٩٧٠).
٣) سفر التثنية (٢٠/ ١٠ – ١٦).

عَنْهُ مُبْعَدُونَ.

ثُمَّ كَيْفَ يَكُونُ قِتَالُ مُحَمَّدٍ لِلْمُشْرِكِينَ مِنْ أَجْلِ الدُّنْيَا وَالطَّمَعِ فِيهَا وَهَا هُوَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: « إِنِّي لَأَوَّلُ العَرَبِ رَمَى بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ الله، وَرَأَيْتُنَا نَغْزُو وَمَا لَنَا طَعَامٌ إِلَّا وَرَقُ الحُبْلَةِ، وَهَذَا السَّمُرُ، وَإِنَّ أَحَدَنَا لَيَضَعُ كَمَا تَضَعُ الشَّاةُ، مَا لَهُ خِلْطٌ »(١).

هَذَا هُوَ تَمْوِينُ الجَيْشِ الَّذِي كَانَ يَقُودُهُ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي يُقَالُ عَنْهُ:إِنَّهُ طَامِعٌ وَمُتْرَفٌ وَعَاشِقٌ لِلدُّنْيَا؛ لِذَلِكَ لَمْ يَتَقَبَّلْ مُسْتَشْرِقٌ مُنْصِفٌ مِثْلَ (توماس كاريل) فِي كِتَابِهِ (الْأَبْطَالُ) هَذَا الْكَلَامَ وَقَالَ: « لَقَدْ كَانَ مُحَمَّدٌ زَاهِدًا مُتَقَشِّفًا فِي مَسْكَنِهِ وَمَأْكَلِهِ وَمَشْرَبِهِ وَمَلْبَسِهِ وَسَائِرِ أُمُورِهِ وَأَحْوَالِهِ، وَكَانَ طَعَامُهُ عَادَةً الْخُبْزَ وَالْمَاءَ، وَرُبَّمَا تَتَابَعَتِ الشُّهُورُ وَلَمْ تُوقَدْ بِدَارِهِ نَارٌ.. وَكَانَ يُصْلِحُ وَيُرَقِّعُ ثَوْبَهُ بِيَدِهِ.. فَحَبَّذَا مُحَمَّدٌ مِنْ رَجُلٍ خَشِنِ الطَّعَامِ، مُجْتَهِدٍ فِي طَاعَةِ اللهِ، قَائِمِ النَّهَارِ، سَاهِرِ اللَّيْلِ، دَائِبٍ فِي نَشْرِ دِينِ اللهِ »(٢).

***

١) متفق عليه: رواه البخاري برقم (٦٤٥٣)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢٩٦٦). ومعنى «ليضع» يتغوَّط « ما له خلط» لا يختلط بعضه ببعض لجفافه وشدة يبسه الناشيء عن خشونة العيش.
٢) مع المفسرين والمستشرقين، زاهر الألمعي، ص (٨٥).

obeikandi.com

الادِّعاء الثالث

الزَّعْمُ بِأَنَّ النَّبِيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ رَجُلُ شَهْوَانِيٌّ مُحِبٌّ لِلنِّسَاءِ:

يَقُولُ أَحَدُهُمْ : « كَيْفَ يُحَدِّدُ لِأُمَّتِهِ أَرْبَعًا كَحَدٍّ أَعْلَى بَيْنَمَا يَفْتَحُ الْأَبْوَابَ لِنَفْسِهِ وَيَتَزَوَّجُ الْكَثِيرَاتِ، بَلْ عَمِلَ عَلَى فَسْخِ زَوْجَةِ ابْنِهِ وَمَوْلَاهُ وَتَزَوَّجَهَا لِأَنَّهَا كَانَتْ بَيْضَاءَ وَجَمِيلَةً »(١).

وَقَالَ آخَرُ: « شَعُرَ مُحَمَّدٌ فِي الْعِقْدِ الْأَخِيرِ مِنْ عُمْرِهِ بِمَيْلٍ كَبِيرٍ إِلَى النِّسَاءِ »(٢).

أَمَّا (غوستاف لوبون) فَيَقُولُ: « إِنَّ ضَعْفَ مُحَمَّدٍ الْوَحِيدَ هُوَ حُبُّهُ الطَّارِئُ لِلنِّسَاءِ؛ لِذَلِكَ أَطْلَقَ الْعِنَانَ لِهَذَا الْحُبِّ حَتَّى إِنَّهُ رَأَى زَوْجَةَ ابْنِهِ وَهِيَ عَارِيَةٌ فَوَقَعَ فِي قَلْبِهِ مِنْهَا شَيْءٌ فَسَرَّحَهَا بَعْلُهَا لِيَتَزَوَّجَهَا مُحَمَّدٌ »(٣).

وَلِلرَّدِّ عَلَى هَذَه الادعاءات الباطلة، أَقُولُ:

- إِنَّ هَذَا الْغَمْزَ لِشَخْصِيَّةِ الرَّسُولِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أَمْرٌ غَيْرُ مَقْبُولٌ، لَا مَنْطِقِيًّا وَلَا عَقْلِيًّا لِمَا يَلِي:

أَوَّلا: أَنْتُمْ تُؤَاخِذُونَ الرَّسُولَ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لِأَنَّهُ عَدَّدَ نِسَاءَهُ، وَتَقُولُونَ: إِنَّهُ كَانَ لِلنِّسَاءِ عَاشِقًا، وَحَدَّدَ لِأُمَّتِهِ أَرْبَعًا وَفِي هَذَا ظُلْمٌ وَجَوْرٌ مِنْ وِجْهَةِ نَظَرِكُمْ.

---

١) حياة محمد، ص (٨٤).
٢) حياة محمد ص (٢٩٩).
٣) حضارة العرب (ص١١٢) ترجمة عادل زعيتر.

وَسُؤَالُنَا: هَلْ أَنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِهِ رَسُولًا أَمْ لَا ؟

الْمَعْلُومُ أَنَّكُمْ هَاجَمْتُمْ رِسَالَتَهُ فَأَنْتُمْ بِهِ مِنَ الْكَافِرِينَ، فَلِمَاذَا إِذًا تَلُومُونَهُ عَلَى فِعْلٍ خَاصٍّ بِهِ وَهُوَ عِنْدَكُمْ بَشَرٌ لَا رَسُولٌ، أَلَا تُؤَكِّدُونَ فِي بِلَادِكُمْ عَلَى مَا يُسَمَّى بِالْحُرِّيَّةِ الشَّخْصِيَّةِ؟ وَهُنَا نَرَاكُمْ تَنْتَقِدُونَ شَخْصًا لَا رَسُولًا عِنْدَكُمْ، وَتَتَعَدَّوْنَ عَلَى حُرِّيَّتِهِ، أَلَيْسَ هَذَا ظُلْمًا وَجُورًا مِنْكُمْ وَتَعَدِّيًا عَلَى الْحُرِّيَّاتِ الْإِنْسَانِيَّةِ؟!

أَمَّا نَحْنُ فَنَرَى أَنَّهُ نَبِيٌّ وَرَسُولٌ، وَأَنَّ فِعْلَهُ فِي التَّعَدُّدِ لَمْ يَكُنْ بِدْعًا لَا فِي شَرْعِهِ وَلَا بَيْنَ قَوْمِهِ، فَشَرْعُهُ هُوَ شَرْعُ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلَهُ، وَالْأَنْبِيَاءُ قَبْلَهُ كَانُوا يَتَزَوَّجُونَ وَيُعَدِّدُونَ، وَقَدْ ثَبَتَ ذَلِكَ عَنْ سُلَيْمَانَ وَيَعْقُوبَ عليهما السلام وَغَيْرِهِمَا(١) وَالْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ عِنْدَكُمْ، وَلَمْ يُنْكِرْ أَحَدٌ عَلَى هَؤُلَاءِ، فَلِمَاذَا الْإِنْكَارُ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟.

أَمَّا قَوْمُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَدْ جَاءَهُمْ وَهُمْ يُعَدِّدُونَ، وَكَانَ هَذَا نِظَامًا قَائِمًا لِكُلِّ النَّاسِ وَقْتَ نُبُوَّتِهِ ، وَعَلَى ذَلِكَ فَلَا غَرَابَةَ فِي تَعَدُّدِ أَزْوَاجِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ثانيًا: مَتَّى عَدَّدَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ وَلِمَاذَا عَدَّدَ ؟

إِنَّ سِيرَتَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تُثْبِتُ أَنَّهُ تَزَوَّجَ وَهُوَ فِي الْخَامِسَةِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَقَدْ كَانَ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللهِ تَعَالَى؛ لِأَنَّ رَجَاحَةَ عَقْلِهَا كَانَتْ خَيْرًا عَلَى الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ الرِّسَالَةِ وَبَعْدَهَا، إِذْ ثَبَّتَتْهُ وَذَكَّرَتْهُ بِالْخَيْرِ لَمَّا دَخَلَ عَلَيْهَا

---

١) راجع سفر التكوين - الإصحاح (٣٥، ٣٦).

مُرْتَجِفًا قَائِلًا: زَمِّلُونِي....، وَعَاشَ مَعَهَا النَّبِيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وَحْدَهَا دُونَ أَنْ يُعَدِّدَ، حَتَّى تُوُفِّيَتْ وَهِيَ فِي الْخَامِسَةِ وَالسِّتِّينَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا وَهُوَ عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ فَوْقَ الْخَمْسِينَ ، وَلَمْ يُثْبِتِ التَّارِيخُ أَنَّ أَحَدًا مِنْ خُصُومِهِ أَثْنَاءَ هَذِهِ الْفَتْرَةِ جَرُؤَ فِي أَنْ يَنسبَ إِلَيْهِ دَنَسًا أَوْ يَتَّهِمَهُ بِرِيبَةٍ.. بَلْ كَانَ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وَهُوَ فِي هَذِهِ الْفَتْرَةِ الْحَصْبَةِ الرَّحْبَةِ فِي عُمْرِ الْإِنْسَانِ يَتَأَلَّقُ فِي جَبِينِهِ رَوْنَقُ الْعَفَافِ وَالشَّرَفِ حَيْثُ سَارَ، وَلَوْ أَرَادَ الزَّوَاجَ بِأَكْثَرَ مِنْ وَاحِدَةٍ آنَذَاكَ مَا عَابَ عَلَيْهِ أَحَدٌ؛ لِأَنَّهُ كَانَ مَأْلُوفًا، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَفْعَلْ، وَلَمَّا تُوُفِّيَتْ خَدِيجَةُ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا وَأَرَادَ أَنْ يَتَزَوَّجَ لَمْ يَبْحَثْ عَنْ جَمَالٍ أَوْ مَالٍ بَلْ أَرَادَ أَنْ يَرْبِطَ صِلَتَهُ بِوَزِيرَيْهِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، فَاخْتَارَ عَائِشَةَ بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا عَلَى صِغَرِ سِنِّهَا، وَاخْتَارَ حَفْصَةَ بِنْتَ عُمَرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا، ثُمَّ اخْتَارَ أُمَّ سَلَمَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا أَرْمَلَةَ قَائِدِهِ الَّذِي اسْتُشْهِدَ فِي سَبِيلِ الله، وَكَانَتْ مَعَهُ سَوْدَةُ، وَهِيَ امْرَأَةٌ نَزَلَتْ عَنْ حَظِّهَا مِنَ الرِّجَالِ لِكِبَرِهَا وَعُزُوفِهَا (١).

وَكَذَلِكَ بَقِيَّةُ زَوْجَاتِهِ لِكُلٍّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ لِزَوَاجِهَا مِنْهُ سَبَبٌ، وَكُلُّ ذَلِكَ بَعْدَ الْخَمْسِينَ مِنَ الْعُمْرِ.

وَمَعْلُومٌ أَنَّ الشَّخْصَ بَعْدَ سِنِّ الْخَمسِينَ قَدْ لَا تَكُونُ لَهُ رَغْبَةٌ فِي النِّسَاءِ، وَهَذَا لَا يَعْنِي أَنَّ النَّبِيّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَدْ يَنْطَبِقُ عَلَيْهِ فِي هَذِهِ الْفَتْرَةِ مَا يَنْطَبِقُ عَلَى غَيْرِهِ مِنَ الرِّجَالِ، فَإِنَّ رَصِيدَهُ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ مِنَ الْقُوَّةِ الْجَسَدِيَّةِ بِجِوَارِ الْقُوَّةِ الرُّوحِيَّةِ

---

١) انظر: "فقه السيرة لمحمد" الغزالي (ص٤٧١، ٤٧٢)، و"مع المفسرين من المستشرقين" لزاهر الألمعي، ص (٨٦، ٨٧).

النَّفْسِيَّةِ كَبِيرٌ، إِلَّا أَنَّنِي أُرِيدُ أَنْ أَقُولَ إِنَّهُ لَوْ كَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنْ أَصْحَابِ الشَّهْوَةِ كَمَا يُزْعَمُ لَبَحَثَ عَنِ النِّسَاءِ قَبْلَ الْخَمْسِينَ بِكَثِيرٍ، لَكِنَّهُ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ، لِأَنَّ الْمُتْعَةَ بِالنِّسَاءِ لَيْسَتْ غَايَتَهُ كَمَا تَصَوَّرَها هَؤُلَاءِ الشَّهْوَانِيُّونَ.

ثَالِثًا: إِنَّ هَذَا التَّعَدُّدَ الَّذِي وَقَعَ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ مُبَاحًا – كَمَا أَشَرْتُ – لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلِأَصْحَابِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لِدَرَجَةِ أَنَّ الْوَاحِدَ قَدْ يَتَزَوَّجُ مَا يَشَاءُ وَلَا مَانِعَ يَمْنَعُهُ، فَلَمَّا جَاءَ التَّشْرِيعُ مِنْ عِنْدِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ طُلِبَ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَلَّا يَتَزَوَّجَ مَرَّةً أُخْرَى، وَيُمْسِكَ مَا عِنْدَهُ مِنَ النِّسَاءِ. قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ ﴾ (الأحزاب: ٥٢).

أَمَّا بَقِيَّةُ أَصْحَابِهِ وَالْأُمَّةُ بَعْدَهُمْ فَقَدْ تَمَّ تَحْدِيدُ الْعَدَدِ، فَلَا يُمْسِكُ الْوَاحِدُ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعِ نِسْوَةٍ إِنِ اسْتَطَاعَ أَنْ يَعْدِلَ وَإِلَّا فَوَاحِدَةً.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً ﴾ (النساء:٣)

وَهُنَا نَقُولُ لِلْحَاقِدِينَ : هَلْ هَذَا الْأَمْرُ الَّذِي بَلَّغَهُ النَّبِيّ إِلَى أُمَّتِهِ فِيهِ تَضْيِيقٌ عَلَى الرَّسُولِ وَتَوْسِعَةٌ عَلَى غَيْرِهِ أَمِ الْعَكْسُ؟ إِنَّكُمْ تَقُولُونَ إِنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ضَيَّقَ عَلَى أَتْبَاعِهِ وَجَعَلَ الْحَدَّ الْأَعْلَى أَرْبَعَ نِسْوَةٍ، أَمَّا هُوَ فَلَهُ مَا يَشَاءُ مِنَ النِّسْوَةِ.

ونَحْنُ نَرَى غَيْرَ مَا تَرَوْنَ! إِذِ التَّضْيِيقُ هُنَا كَانَ عَلَى الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا عَلَى أَتْبَاعِهِ، فَهُوَ يَقِفُ عِنْدَ الْمَعْدُودِ أَيْ مَا مَعَهُ مِن النِّسَاءِ وَلَيْسَ لَهُ عَدَدٌ بَعْدَهُنَّ، فَلَوْ أَنَّ نِسَاءَهُ جَمِيعًا مُتْنَ فِي عَهْدِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا اسْتَطَاعَ أَنْ يَتَزَوَّجَ وَاحِدَةً بَعْدَهُنَّ، لِأَنَّ

اللهَ تَعَالَى قَالَ لَهُ: ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا ٥٢﴾ (الأحزاب)

أَمَّا أَصْحَابُهُ وَأَتْبَاعُهُ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ فَالْوَاحِدُ مِنْهُمْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُطَلِّقَ ثُمَّ يَتَزَوَّجَ، وَيَدُورُ هَذَا الْأَمْرُ إِلَى أَيِّ عَدَدٍ يُرِيدُ، لَكِنَّهُ إِنْ أَرَادَ الْإِمْسَاكَ فَلَهُ أَرْبَعٌ فَقَطْ، وَإِنْ طَلَّقَ فَيَأْتِي بِأُخْرَى، وَيَدُورُ مَعَهُ الْعَدَدُ، لَكِنَّ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَدُورُ مَعَهُ الْعَدَدُ بَلْ يَقِفُ عِنْدَ الْمَعْدُودِ لَهُ.

فَلَوْ لَمْ يَكُنِ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمِينًا وَكَانَ صَاحِبَ شَهْوَةٍ مَا ضَيَّقَ عَلَى نَفْسِهِ وَلَا وَقَفَ عِنْدَ مَنْ مَعَهُ مِنَ النِّسْوَةِ، وَلَا بَلَّغَ أُمَّتَهُ بِذَلِكَ، لَكِنَّهُ بَلَّغَ وَاسْتَجَابَ أَتْبَاعُهُ، فَكَانَ الَّذِي عِنْدَهُ تِسْعٌ يُطَلِّقُ خَمْسًا وَيُبْقِي أَرْبَعًا، وَالْخَمْسُ مِنْ حَقِّهِنَّ أَنْ يَتَزَوَّجْنَ بِآخَرِينَ، أَمَّا هُوَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُطَلِّقَ وَاحِدَةً، لِأَنَّهُ كَانَ عِنْدَهُ آنَذَاكَ تِسْعٌ. فَلَوْ طَلَّقَ خَمْسًا مَا تَزَوَّجْنَ أَحَدًا بَعْدَهُ.. لِمَاذَا ؟. لِأَنَّهُنَّ مِنْ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا يَصِحُّ فِي شَرِيعَةِ الْإِسْلَامِ أَنْ يَتَزَوَّجَ الْمُسْلِمُ أُمَّهُ... لِهَذَا أَبْقَى عَلَيْهِنَّ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَمْ يُطَلِّقْهُنَّ(١)، وَمَا كَانَ ذَلِكَ إِلَّا تَنْفِيذًا لِمَا شَرَعَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ السُّرْعَةُ فِي التَّنْفِيذِ لِأَوَامِرِ الْحَقِّ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ أَعْمَالِ الشَّهْوَانِيِّينَ السَّاقِطِينَ كَمَا يَزْعُمُ السَّاقِطُونَ مِنَ الْمُسْتَشْرِقِينَ.

رَابِعًا: أَمَّا الِادِّعَاءُ بِأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ خَاضِعًا لِشَهْوَتِهِ، وَلِذَا طَلَّقَ زَوْجَةَ

---

١) انظر: شبهات وأباطيل خصوم الإسلام (ص٤٨، ٤٩) بتصرف.

ابْنِهِ لِإِعْجَابِهِ بِجَمَالِهَا بَعْدَ أَنْ رَآهَا عَارِيَةً – عَلَى حَسْبِ تَعْبِيرِ (جُوستَاف لوبون) – فَهُوَ ادِّعَاءٌ كَاذِبٌ، وَالنَّبِيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كَمَا هُوَ ثَابِتٌ لَمْ يَرَ عَوْرَةً فِي حَيَاتِهِ، كَمَا تَقُولُ زَوْجَتُهُ عَائِشَةُ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا: « كَانَ النَّبِيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لَا يَرَى مِنِّي وَلَا أَرَى مِنْهُ ».

وَمَنْ قَالَ بِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لَهُ ابْنٌ تَزَوَّجَ ثُمَّ طَلَّقَ ثُمَّ تَزَوَّجَ النَّبِيُّ زَوْجَتَهُ؟.

فَإِنَّهُ لم يُعْلَمْ ذَلِكَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ مُطْلَقًا، لَكِنَّ الْمَسْأَلَةَ مُتَعَلِّقَةٌ بِزَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وَكَانَ زَيْدٌ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عَبْدًا وَهَبَتْهُ خَدِيجَةُ لِرَسُولِ الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وَصَارَ مَوْلَاهُ، وَعِنْدَمَا جَاءَهُ أَبُوهُ وَبَعْدَ أَنْ عَرَفَ أَنَّهُ فِي مَكَّةَ وَأَرَادَ أَنْ يَأْخُذَهُ مِنْ رَسُولِ الله، خَيَّرَهُ الرَّسُولُ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بَيْنَ أَنْ يَذْهَبَ إِلَى أَبِيهِ أَوْ يَبْقَى مَعَ الرَّسُولِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ، لَكِنَّ زَيْدًا مِنْ شِدَّةِ حُبِّهِ لِلنَّبِيِّ الْكَرِيمِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لَمْ يَقْبَلْ أَنْ يَخْتَارَ أَحَدًا عَلَى الرَّسُولِ مُحَمَّدٍ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وَبَقِيَ مَعَهُ وَلَمْ يَذْهَبْ مَعَ أَبِيهِ، فَكَانَ مِنْ كَرَمِ رَسُولِ الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أَنْ كَافَأَهُ فَدَعَاهُ زَيْدًا ابْنَ مُحَمَّدٍ بَدَلًا مِنْ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ (١). أَيْ تَبَنَّاهُ، وَكَانَ هَذَا التَّبَنِّي مَأْلُوفًا فِي عَهْدِهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ. وَلَمْ يَكُنْ فِيهِ حُكْمٌ شَرْعِيٌّ، لَكِنَّ اللهَ ﷻ أَرَادَ أَنْ يُبْطِلَ هَذِهِ الْقَضِيَّةَ الْمَأْلُوفَةَ فَقَالَ لِنَبِيِّهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ (الأحزاب:٥). أَيْ: مَا فَعَلْتَهُ -يَا مُحَمَّدُ- مِنْ مُكَافَأَةٍ لِزَيْدٍ بِسَبَبِ إِخْلَاصِهِ هُوَ عَدْلٌ بِلَا شَكٍّ، لَكِنَّ عِنْدِي فِي حُكْمِي مَا هُوَ أَعْدَلُ مِنْهُ فَتَقَبَّلْهُ، وَجَاءَ التَّعبِيرُ فِي ذَلِكَ بِأَقْسَطَ أَيْ: أَعْدَلَ، وَالنَّبِيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لَا

---

١) انظر: ردا على الملاحدة والعلمانيين ص (٧٠، ٧١).

يَسْتَنْكِفُ أَنْ يُعَدَّلَ لَهُ حُكْمٌ(١)، وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ مَا فَعَلَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ صَوَابًا وَعَدْلًا لَا جُورًا.

بَلْ لَقَدْ زَادَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي كَرَمِهِ فَزَوَّجَهُ ابْنَةَ عَمَّتِهِ (زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ الْأَسَدِيَّةَ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، ثُمَّ أَوْحَى الْمَوْلَى عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِ أَنَّهَا سَتَكُونُ مِنْ أَزْوَاجِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِيمَا بَعْدُ وَسَيُطَلِّقُهَا زَيْدٌ، وَلَمْ يُظْهِرِ النَّبِيُّ ذَلِكَ لِأَحَدٍ، وَفَجْأَةً جَاءَهُ زَيْدٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِيَشْكُوَهَا إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **{ اتَّقِ اللهَ وَأَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ }**. فَقَالَ لَهُ الْمَوْلَى عَزَّ وَجَلَّ: قَدْ أَخْبَرْتُكَ أَنَّهَا سَتَكُونُ لَكَ زَوْجَةً وَسَيُطَلِّقُهَا زَيْدٌ، وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيهِ، هَذَا هُوَ مَا ذَكَرَهُ السُّدِّيُّ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ **وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ** ﴾(الأحزاب:٣٧).

وَالْمَقْصُودُ هُنَا: زَيْدٌ الَّذِي أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ بِالْإِسْلَامِ وَأَنْعَمَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ بِالتَّبَنِّي وَالزَّوَاجِ مِنْ زَيْنَبَ ﴿ **فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِيٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾** ﴾ (الأحزاب). أَيْ: فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا حَاجَتَهُ وَفَارَقَهَا وَانْتَهَتْ عِدَّتُهَا زَوَّجَهَا اللهُ لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِئَلَّا يَبْقَى عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي تَزْوِيجِ مُطَلَّقَاتِ

---

١) المصدر السابق ص (٧٢).

الْأَدْعِيَاءِ(١).

وَعَلَى ذَلِكَ فَالْقَضِيَّةُ لَيْسَتْ شَهْوَةً أَوْ غَرِيزَةً مُحَرَّمَةً، بَلْ قَضِيَّةُ أَمْرٍ إِلَهِيٍّ وَتَنْفِيذٍ لَهُ، وَتَنْظِيمٍ لِلْحَيَاةِ الْإِنْسَانِيَّةِ عَنْ طَرِيقِ هَذَا الشَّرْعِ الْحَكِيمِ، وَلِكَيْ يَنْطَلِقَ هَذَا التَّنْظِيمُ وَيَتَحَرَّكَ فِي طَرِيقِهِ السَّلِيمِ وَيَتَقَبَّلَهُ النَّاسُ بِقَبُولٍ حَسَنٍ لَابُدَّ أَنْ تَكُونَ نُقْطَةَ انْطِلَاقِهِ الصَّحِيحَةُ مِنْ بَيْتِ النُّبُوَّةِ، وَتَطْبِيقُهُ الْعَمَلِيُّ عَلَى يَدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَدْ تَمَّ ذَلِكَ عَلَى أَكْمَلِ وَجْهٍ وَأَحْسَنِ تَطْبِيقٍ، وَتَبَيَّنَ أَنْ زَيْدًا لَيْسَ كَمَا ادَّعَى الْمُسْتَشْرِقُونَ أَنَّهُ مِنْ صُلْبِ رَسُولِ اللهِ بَلْ بِالتَّبَنِّي، وَالتَّبَنِّي قَدِ انْتَهَى وَقْتُهُ بِتَطْلِيقِ زَيْنَبَ مِنْ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَتَزْوِيجِهَا لِلرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَمْ تَعُدْ هُنَاكَ حُرْمَةٌ شَرْعِيَّةٌ لِزَوْجَةِ الِابْنِ الدَّعِيِّ إِذَا طُلِّقَتْ مِنْهُ، وَصَارَ هَذَا تَشْرِيعًا عَامًّا بَعْدَ ذَلِكَ.

وَغَنِيٌّ عَنِ الْبَيَانِ أَنَّ الْمُنَافِقِينَ قَدِيمًا دَسُّوا الْأَكَاذِيبَ عَلَى الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَشَاعُوا أَقَاوِيلَ كَثِيرَةً بِسَبَبِ هَذِهِ الْقَضِيَّةِ، وَقَالُوا: إِنَّ الرَّسُولَ مَا فَعَلَ ذَلِكَ إِلَّا لِحُبِّهِ لِزَيْنَبَ، وَالْيَوْمَ يُرَدِّدُ أَحْفَادُهُمُ الْمُسْتَشْرِقونَ نَفْسَ مَا رَدَّدَ أَجْدَادُهُمْ.

وَلَقَدِ اسْتَغْرَبَ عُلَمَاؤُنَا قَدِيمًا هَذَا الْقَوْلَ – كَمَا نَسْتَغْرِبُهُ مِنَ الْمُسْتَشْرِقِينَ وَأَتْبَاعِهِمُ الْآنَ – وَدَفَعُوهُ وَأَبْطَلُوهُ.

وَمِنْ هَؤُلَاءِ الْعُلَمَاءِ الْقَاضِي أَبُو بَكْرِ بْنُ الْعَرَبِيِّ الَّذِي قَالَ: « فَأَمَّا قَوْلُهُمْ: إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَآهَا فَوَقَعَتْ فِي قَلْبِهِ فَبَاطِلٌ فَإِنَّهُ كَانَ مَعَهَا فِي كُلِّ وَقْتٍ

---

١) تفسير ابن كثير (٣/ ٣٧٧-٣٧٨).

وَمَوْضِعٍ، وَلَمْ يَكُنْ حِينَئِذٍ حِجَابٌ، فَكَيْفَ تَنْشَأُ مَعَهُ وَيَنْشَأُ مَعَهَا وَيَلْحَظُهَا فِي كُلِّ سَاعَةٍ، وَلَا تَقَعُ فِي قَلْبِهِ إِلَّا إِذَا كَانَ لَهَا زَوْجٌ، وَقَدْ وَهَبَتْهُ نَفْسَهَا، وَكَرِهَتْ غَيْرَهُ، فَلَمْ تَخْطِرْ بِبَالِهِ، فَكَيْفَ يَتَجَدَّدُ لَهُ هَوًى لَمْ يَكُنْ، حَاشَا لِذَلِكَ الْقَلْبِ الْمُطَهَّرِ مِنْ هَذِهِ الْعَلَاقَةِ الْفَاسِدَةِ »(١).

لِذَلِكَ رَفَضَ الْمُنْصِفُونَ مِنَ الْمُسْتَشْرِقِينَ هَذَا الْكَلَامَ، مِثْلُ (توماس كاريل) الَّذِي قَالَ: « وَمَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَخَا شَهَوَاتٍ بِرَغْمِ مَا اتُّهِمَ بِهِ ظُلْمًا وَعُدْوَانًا، وَنُخْطِئُ إِنْ حَسِبْنَاهُ رَجُلًا شَهْوَانِيًّا لَا هَمَّ لَهُ إِلَّا قَضَاءَ مَآرِبِهِ مِنَ الْمَلَاذِّ. كَلَّا فَمَا أَبْعَدَ مَا كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَلَاذِّ أَيًّا كَانَتْ ! »(٢).

خَامِسًا(٣): كَانَتْ وَظِيفَتُهُ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ الْأُولَى فِي حَيَاتِهِ هِيَ دَعْوَةُ النَّاسِ إِلَى الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ، وَتَرْكِيزُ دَعَائِمِ الدِّينِ الْجَدِيدِ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ، وَمِنْ ثَمَّ فَالْوَقْتُ أَمَامَهُ مَحْدُودٌ؛ وَلِذَلِكَ سَلَكَ أَسْرَعَ الطُّرُقِ إِلَى دَعْوَةِ النَّاسِ إِلَى الْخَيْرِ، وَمِنْهَا الزَّوَاجُ السِّيَاسِيُّ الَّذِي يَكْسِرُ هَذِهِ الْعَدَاوَةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَعْدَائِهِ، وَكَانَ هَذَا عُرْفًا فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، بَلْ فِي الْعَالَمِ أَجْمَعِ، وَمَا أَكْثَرَ مَا تَمَّتِ الزِّيجَاتُ وَالْمُصَاهَرَاتُ بَيْنَ الْأُمَرَاءِ وَالْمُلُوكِ الْمُتَصَارِعِينَ؛ لِكَيْ يَتِمَّ إِنْهَاءُ حَرْبٍ أَوْ عَقْدِ مُعَاهَدَةِ سَلَامٍ، وَيُصْبِحُ الزَّوَاجُ كَنَوْعٍ مِنَ التَّوْثِيقِ لِهَذِهِ الْمُعَاهَدَاتِ.

---

١) نقلا عن كتاب "مع المفسرين المستشرقين" لزاهر الألمعي ص (٨٣)، وانظر كلام ابن العربي في أحكام القرآن (٣/ ٥٧٧).

٢) من كتاب : "محمد المثل الأعلى" للفيلسوف الإنجليزي توماس كاريل.

٣) هذه وما بعدها مستفاد من كتاب " أسوة للعاملين " ص (٣٣٣).

وَدَلِيلُ أَنَّ هَذَا الزَّوَاجَ كَانَ عُرْفا عَامًّا أَنَّ أَحَدًا مِنْ مُعَاصِرِيهِ الَّذِينَ حَارَبُوهُ لَمْ يَعْتَرِضْ عَلَى هَذَا الزَّوَاجِ الْكَثِيرِ، وَلَمْ يَطْعَنْ بِهِ فِي شَرَفِ الرَّسُولِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

وَمِنْ هَذَا الزَّوَاجِ : زَوَاجُهُ مِنْ (أُمِّ حَبِيبَةَ بِنْتِ أَبِي سُفْيَانَ) رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا الْمُهَاجِرَةِ إِلَى الْحَبَشَةِ؛ فَالنَّبِيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لَمْ يَرَهَا مُنْذُ هَاجَرَتْ مَعَ زَوْجِهَا إِلَى الْحَبَشَةِ، بَيْدَ أَنَّهُ يَعْرِفُ إِسْلَامَهَا بِرَغْمِ أَنْفِ أَبِيهَا زَعِيمِ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَئِذٍ ، وَيَعْرِفُ بَقَاءَهَا عَلَى الْإِسْلَامِ بِرَغْمِ أَنْفِ زَوْجِهَا الَّذِي ارْتَدَّ عَنِ الْإِسْلَامِ إِلَى النَّصْرَانِيَّةِ، وَتَأْلِيفًا لِوَالِدِهَا أَبِي سُفْيَانَ سَيِّدِ قُرَيْشٍ وَزَعِيمِهَا، وَتَرْغِيبًا لَهُ فِي الدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ تَزَوَّجَهَا صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

وَكَذَلِكَ كَانَ زَوَاجُهُ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ مِنْ (صَفِيَّةَ بِنْتِ حُيَيِّ بْنِ أَخْطَبَ) زَعِيمِ الْيَهُودِ، وَ(جُوَيْرِيَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ) سَيِّدِ بَنِي الْمُصْطَلِقِ، وَالَّتِي أَعْتَقَ الْمُسْلِمُونَ بِزَوَاجِهَا مِنْ رَسُولِ الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ جَمِيعَ الْأَسْرَى وَالسَّبَايَا مِنْ بَنِي الْمُصْطَلِقِ، كَمَا أَسْلَمَ أَبُوهَا وَأَسْلَمَ مَعَهُ قَوْمُهُ.

سَادِسًا: كَانَ رَسُولُ الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يُرِيدُ –أيضًا– تَثْبِيتَ دَعَائِمِ دَوْلَتِهِ سِيَاسِيًّا، فَوَثَّقَ عَلَاقَتَهُ كَذَلِكَ بِكِبَارِ رِجَالِ دَوْلَتِهِ، وَالَّذِينَ كَانَ يَعْلَمُ بِالْوَحْيِ أَنَّهُمْ سَيَخْلُفُونَهُ فِي حُكْمِهِ لِلْمُسْلِمِينَ بِدَلِيلِ أَنَّهُ جَمَعَهُمْ فِي أَحَادِيثَ كَثِيرَةٍ، وَحَضَّ النَّاسَ عَلَى اتِّبَاعِ سُنَّتِهِمْ: **{ عَلَيْكُم بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ }**(١).

فَكَانَ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يَرَى أَنَّ الزَّوَاجَ سَيُضِيفُ بُعْدًا جَدِيدًا لِتَوْثِيقِ الْعَلَاقَةِ، وَمِنْ

---

١) رواه أبو داود برقم (٤٦٠٧)، والترمذي برقم (٢٦٧٦) وقال: هذا حديث صحيح، وابن ماجه برقم (٤٢)، وأحمد برقم (١٧١٤٢).

ثَمَّ يُقَرِّبُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ صَاهَرُوهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَكْثَرَ؛ فَتَزَوَّجَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ عَائِشَةَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الَّذِي قَالَ فِيهِ رَسُولُ الله: { **مَا لِأَحَدٍ عِنْدَنَا يَدٌ إِلَّا وَقَدْ كَافَيْنَاهُ مَا خَلَا أَبَا بَكْرٍ، فَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا يَدًا يُكَافِئُهُ اللهُ بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَمَا نَفَعَنِي مَالُ أَحَدٍ قَطُّ مَا نَفَعَنِي مَالُ أَبِي بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، أَلَا وَإِنَّ صَاحِبَكُمْ خَلِيلُ الله** }(١).

- كَمَا تَزَوَّجَ مِنْ حَفْصَةَ بِنْتِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَكَانَ ذَلِكَ قُرَّةَ عَيْنٍ لِأَبِّيهَا عُمَرَ عَلَى صِدْقِهِ وَإِخْلَاصِهِ، وَتَفَانِيهِ فِي سَبِيلِ هَذَا الدِّينِ.

- كَذَلِكَ زَوَّجَ بَنَاتِهِ مِنْ عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَهَكَذَا وَثَّقَ رَسُولُ الله صِلَاتِهِ الِاجْتِمَاعِيَّةَ عَنْ طَرِيقِ الْمُصَاهَرَةِ بِأَكْرَمِ طَبَقَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَأَعْظَمِهِمْ دَوْرًا فِي خِدْمَةِ الدَّعْوَةِ.

سَابِعًا: كَانَ لِزَوَاجِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَوْرٌ كَبِيرٌ فِي نَقْلِ السُّنَّةِ؛ حَيْثُ كَانَ لَهُنَّ الْفَضْلُ فِي نَقْلِ سُنَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي كُلِّ صَغِيرَةٍ وَكَبِيرَةٍ مِنْ أَمْرِ حَيَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَهُوَ الْقُدْوَةُ وَالْأُسْوَةُ لِكُلِّ الْمُسْلِمِينَ، كَمَا أَنَّ السُّنَّةَ النَّبَوِيَّةَ هِيَ الْمَصْدَرُ الثَّانِي مِنْ مَصَادِرِ التَّشْرِيعِ، وَأُمَّهَاتُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَلْصَقِ النَّاسِ وَأَقْرَبِهِنَّ لِرَسُولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَكُنَّ نَقَلَةً لِكُلِّ قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ سَمِعْنَهُ أَوْ رَأَيْنَهُ مِنْ رَسُولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَوَصَلَ بِذَلِكَ كَثِيرٌ مِنَ السُّنَّةِ لِكَافَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَقَدْ ذَكَرَ الرُّوَاةُ أَنَّ عَدَدَ الْأَحَادِيثِ الَّتِي رَوَتْهَا نِسَاءُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَاوَزَتْ ثَلَاثَةَ آلَافِ حَدِيثٍ،

---

١) رواه الترمذي برقم (٣٦٦١) وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، وصحَّحه الألباني .

وَأَنَّ صَاحِبَةَ السَّهْمِ الْأَكْبَرِ فِي رِوَايَةِ الْحَدِيثِ هِيَ السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. فَقَدْ رَوَتْ (أَلْفَيْنِ وَمِائَتَيْنِ وَعَشْرَةَ) أَحَادِيثَ، ثُمَّ تَأْتِي بَعْدَهَا أُمُّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا الَّتِي رَوَتْ (ثَلَاثَمِائَةٍ وَثَمَانِيَةً وَسَبْعِينَ) حَدِيثًا، وَبَاقِي زَوْجَاتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَتَرَاوَحُ أَحَادِيثُهُنَّ مَا بَيْنَ (حَدِيثٍ إِلَى سِتَّةٍ وَسَبْعِينَ) حَدِيثًا، وَقَدِ امْتَدَّ عُمْرُهُنَّ فَتْرَةً طَوِيلَةً بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (١).

ثامنًا: لَمْ يَأْخُذِ الزَّوَاجُ وَقْتًا كَبِيرًا مِنْ حَيَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَمْ يَنْشَغِلْ بِهِ عَنْ أُمُورِ دَوْلَتِهِ، وَلَكَمْ رَأَيْنَا مَنْ يَنْشَغِلُ بِزَوْجَةٍ وَاحِدَةٍ عَنْ أُمُورِ الدُّنْيَا وَالدِّينِ! وَلَكِنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَتَأَخَّرْ عَنْ صَلَاةٍ، وَلَمْ يَتَخَلَّفْ عَنْ جِهَادٍ، وَلَمْ يَمْتَنِعْ عَنْ قَضَاءِ بَيْنَ النَّاسِ، وَلَمْ يَتْرُكْ دَعْوَةً، وَلَا جِنَازَةً، وَلَا عِيَادَةَ مَرِيضٍ.

تاسعًا: أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَكُنْ يَتَزَوَّجُ بِاخْتِيَارِهِ، بَلْ كَانَ يُزَوِّجُهُ رَبُّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِحِكْمَةٍ قَدْ يَبْدُو لَنَا مِنْهَا طَرَفٌ، وَقَدْ لَا يَبْدُو مِنْهَا طَرَفٌ آخَرُ، وَالْقَضِيَّةُ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ قَضِيَّةُ إِيمَانٍ بِأَنَّهُ رَسُولٌ، لَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُعَارِضَ رَبَّهُ.

* **وَقْفَةُ تَدَبُّرٍ: فِي زَوَاجُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:**

أَوَّلًا: إِنَّ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عِنْدَمَا خَطَبَهَا الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَكُنْ هُوَ أَوَّلَ الْمُتَقَدِّمِينَ لِخِطْبَتِهَا، بَلْ سَبَقَهُ لِخِطْبَتِهَا جُبَيْرُ بْنُ الْمُطْعِمِ بْنِ عَدِيٍّ، وَعَلَى هَذَا

---

١) جوامع السيرة لابن حزم (١/ ٢٧٥) وما بعدها، وقال الحافظ الذهبي: « "مُسْنَدُ عَائِشَةَ": يَبْلُغُ ألفين ومئتين وَعَشْرَةِ أَحَادِيْثَ. اتَّفَقَ لَهَا البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَلَى مئة وَأَرْبَعَةٍ وَسَبْعِيْنَ حَدِيْثاً وَانْفَرَدَ البُخَارِيُّ بِأَرْبَعَةٍ وَخَمْسِيْنَ وَانْفَرَدَ مُسْلِمٌ بِتِسْعَةٍ وَسِتِّيْن ». سير أعلام النبلاء (٣/ ٤٢٨).

فَالسَّيِّدَةُ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كَانَتْ فِي عُمْرِ الزَّوَاجِ وَكَانَتْ تُطِيقُهُ، وَلَا غَرْوَ إِذَنْ أَنْ يَخْطِبَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ثانيًا: إِنَّ هَذَا الزَّوَاجَ كَانَ أَصْلًا بِاقْتِرَاحٍ مِنَ السَّيِّدَةِ خَوْلَةَ بِنْتِ حَكِيمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَلَى الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَذَلِكَ لِتَوْكِيدِ الصِّلَةِ مَعَ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيْهِ، وَهُوَ أَبُوهَا أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَهُوَ دَلِيلٌ ثَانٍ عَلَى أَنَّ السَّيِّدَةَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كَانَتْ فِي سِنِّ الزَّوَاجِ.

ثَالِثًا: أَنَّ قُرَيْشًا – الَّتِي كَانَتْ تَتَرَبَّصُ بِالرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الدَّوَائِرَ لِتَأْلِيبِ النَّاسِ عَلَيْهِ، وَالَّتِي لَمْ تَتْرُكْ مَجَالا لِلطَّعْنِ فِيهِ إِلَّا سَلَكُوهُ وَلَوْ كَانَ زُورًا وَافْتِرَاءً – لَمْ تُدْهَشْ حِينَ أُعْلِنَ نَبَأُ الْمُصَاهَرَةِ بَيْنَ أَعَزِّ صَاحِبَيْنِ وَأَوْفَى صَدِيقَيْنِ، بَلِ اسْتَقْبَلَتْهُ كَمَا تَسْتَقْبِلُ أَيَّ أَمْرٍ طَبِيعِيٍّ.

رَابِعًا: ثَبَتَ تَارِيخِيًّا بَعْدَ ذَلِكَ أَنَّ السَّيِّدَةَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كَانَتْ نَاضِجَةً تَمَامَ النُّضْجِ؛ حَيْثُ اسْتَوْعَبَتْ سِيرَةَ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَكَاءٍ، وَكَانَتْ سَرِيعَةَ التَّعَلُّمِ جِدًّا، بَلْ صَارَتْ مِنْ أَكْثَرِ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ عِلْمًا، وَكَانَتْ رُدُودُهَا عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاسْتِفْسَارَاتُهَا تَدُلُّ عَلَى كَمَالِ عَقْلِهَا، وَقُوَّةِ ذَكَائِهَا، وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ لِطِفْلَةٍ لَيْسَ لَهَا فِي أُمُورِ الزَّوَاجِ.

عَلَى أَنَّهُ يَجِبُ الِانْتِبَاهُ إِلَى فُرُوقِ الْعَصْرِ وَظُرُوفِ الْإِقْلِيمِ، وَكَيْفَ أَنَّ نُضُوجَ الْفَتَاةِ فِي الْمَنَاطِقِ الْحَارَّةِ يَكُونُ مُبَكِّرًا جِدًّا عَنْهُ فِي الْمَنَاطِقِ الْبَارِدَةِ.

***

الادِّعَاءُ الرَّابِع

الزَّعْمُ بأنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ رَجُلا دَمَوِيًّا

وَلِلرَّدِّ عَلَى هَذِهِ الشُّبْهَةِ أَقُولُ :

لَقَدْ جَعَلَ الْإِسْلَامُ قَضِيَّةَ الْإِيمَانِ أَوْ عَدَمِهِ مِنَ الْأُمُورِ الْمُرْتَبِطَةِ بِمَشِيئَةِ الْإِنْسَانِ نَفْسِهِ وَاقْتِنَاعِهِ الدَّاخِلِيِّ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿ **وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ** ﴾ (الكهف:٢٩)، وَلَفَتَ الْقُرْآنُ نَظَرَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى هَذِهِ الْحَقِيقَةِ وَبَيَّنَ لَهُ أَنَّ عَلَيْهِ تَبْلِيغَ الدَّعْوَةِ فَقَطْ، وَأَنَّهُ لَا سُلْطَانَ لَهُ عَلَى تَحْوِيلِ النَّاسِ إِلَى الْإِسْلَامِ. فقَالَ تعالى: ﴿ **أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾** ﴾ (يونس) ، وَقَال تعالى: ﴿ **لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾** ﴾ (الغاشية)، وَقَالَ سبحانه : ﴿ **فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ** ﴾ (الشورى:٤٨).

وَمِنْ ذَلِكَ يَتَّضِحُ أَنَّ دُسْتُورَ الْمُسْلِمِينَ يَرْفُضُ رَفْضًا قَاطِعًا إِكْرَاهَ أَحَدٍ عَلَى اعْتِنَاقِ الْإِسْلَامِ .

وَتَطْبِيقًا لِهَذِهِ الْحَقِيقَةِ فَقَدْ ثَبَتَ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ أَسَرُوا فِي سَرِيَّةٍ مِنَ السَّرَايَا سَيِّدَ بَنِي حَنِيفَةَ (ثُمَامَةَ بْنَ أُثَالٍ الْحَنَفِيَّ)، وَهُمْ لَا يَعْرِفُونَهُ، فَأَتَوْا بِهِ إِلَى رَسُولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَبْقَاهُ عِنْدَهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، وَكَانَ فِي كُلِّ يَوْمٍ يَعْرِضُ عَلَيْهِ الْإِسْلَامُ عَرْضًا كَرِيمًا، فَيَأْبَى وَيَقُولُ: « إِنْ تَسْأَلْ مَالًا تُعْطَهُ، وَإِنْ تَقْتُلْ تَقْتُلْ ذَا دَمٍ، وَإِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ ». فَمَا كَانَ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا أَنْ أَطْلَقَ سَرَاحَهُ، فَانْطَلَقَ (ثُمَامَةُ) إِلَى نَخْلٍ قَرِيبٍ مِنَ الْمَسْجِدِ، فَاغْتَسَلَ ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ، فَقَالَ: « أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ

مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، يَا مُحَمَّدُ، وَاللهِ مَا كَانَ عَلَى الْأَرْضِ وَجْهٌ أَبْغَضُ إِلَيَّ مِنْ وَجْهِكَ، فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهُكَ أَحَبَّ الْوُجُوهِ كُلِّهَا إِلَيَّ، وَاللهِ مَا كَانَ مِنْ دِينٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ دِينِكَ، فَأَصْبَحَ دِينُكَ أَحَبَّ الدِّينِ كُلِّهِ إِلَيَّ، وَاللهِ مَا كَانَ مِنْ بَلَدٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ بَلَدِكَ، فَأَصْبَحَ بَلَدُكَ أَحَبَّ الْبِلَادِ كُلِّهَا إِلَيَّ، وَإِنَّ خَيْلَكَ أَخَذَتْنِي، وَأَنَا أُرِيدُ الْعُمْرَةَ، فَمَاذَا تَرَى؟ » فَبَشَّرَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَعْتَمِرَ، فَلَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ قَالَ لَهُ قَائِلٌ: أَصَبَوْتَ؟! فَقَالَ: « لَا، وَلَكِنِّي أَسْلَمْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَا – واللهِ– لَا يَأْتِيكُمْ مِنَ الْيَمَامَةِ حَبَّةُ حِنْطَةٍ حَتَّى يَأْذَنَ فِيهَا رَسُولُ اللهِ »(١).

فَقَدْ أَسْلَمَ (ثُمَامَةُ) دُونَ ضَغْطٍ أَوْ إِكْرَاهٍ، بَلْ إِنَّ إِسْلَامَهُ وُلِدَ قَوِيًّا إِلَى الدَّرَجَةِ الَّتِي دَفَعَتْهُ إِلَى مُقَاطَعَةِ قُرَيْشٍ مِنْ أَجْلِ أَنَّهَا تُحَارِبُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مُضَحِّيًا بِذَلِكَ بِثَرْوَةٍ هَائِلَةٍ كَانَتْ تَأْتِيهِ مِنْ تِجَارَتِهِ مَعَهَا، وَمُضَحِّيًا كَذَلِكَ بِعَلَاقَاتٍ اجْتِمَاعِيَّةٍ مُهِمَّةٍ مَعَ أَشْرَافِ قُرَيْشٍ.

وَعَقْلًا فَإِنَّ مَنْ أُكْرِهَ عَلَى شَيْءٍ لَا يَلْبَثُ أَنْ يَتَحَلَّلَ مِنْهُ إِذَا وَجَدَ الْفُرْصَةَ سَانِحَةً لِذَلِكَ، بَلْ يُصْبِحَ حَرْبًا عَلَى هَذَا الَّذِي أُكْرِهَ عَلَيْهِ.. إِلَّا أَنَّ التَّارِيخَ لَمْ يُثْبِتْ مِثْلَ هَذَا؛ وَإِنَّمَا ثَبَتَ أَنَّ مَنْ كَانَ يُسْلِمُ لَمْ يَتَوَانَ لِلَحْظَةٍ وَاحِدَةٍ فِي الدِّفَاعِ عَنْ هَذَا الدِّينِ الَّذِي أَسَرَ لُبَّهُ بِكُلِّ مَا يَمْلِكُ، وَأَقْرَبُ مِنْهُ أَنَّ الْإِحْصَائِيَّاتِ الرَّسْمِيَّةَ لَتَدُلُّ عَلَى أَنَّ عَدَدَ الْمُسْلِمِينَ فِي ازْدِيَادٍ، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ كُلِّ مَا يَنَالُهُمْ مِنِ اضْطِهَادٍ وَمَا يَتَعَرَّضُونَ لَهُ مِنْ عَوَامِلِ الْإِغْرَاءِ.

---

١) متفق عليه: رواه البخاري برقم (٤٣٧٢)، ومسلم برقم (١٧٦٤) عن أبي هريرة.

وَلَوْ قُمْنَا بِإِحْصَاءِ عَدَدِ الَّذِينَ مَاتُوا فِي كُلِّ الْحُرُوبِ النَّبَوِيَّةِ – سَوَاءٌ مِنْ شُهَدَاءِ الْمُسْلِمِينَ، أَوْ مِنْ قَتْلَى الْأَعْدَاءِ – ثُمَّ قُمْنَا بِتَحْلِيلِهَا، وَرَبْطِهَا بِمَا يَحْدُثُ فِي عَالَمِنَا الْمُعَاصِرِ، لَوَجَدْنَا عَجَبًا!

لَقَدْ بَلَغَ عَدَدُ شُهَدَاءِ الْمُسْلِمِينَ فِي كُلِّ مَعَارِكِهِمْ أَيَّامَ رَسُولِ الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ – وَذَلِكَ عَلَى مَدَارِ عَشْرِ سَنَوَاتٍ كَامِلَةٍ – (٢٦٢) شَهِيدًا تَقْرِيبًا، وَبَلَغَ عَدَدُ قَتْلَى أَعْدَائِهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ حَوَالَيْ (١٠٢٢) قَتِيلًا، وَبِذَلِكَ بَلَغَ الْعَدَدُ الْإِجْمَالِيُّ لِقَتْلَى الْفَرِيقَيْنِ (١٢٨٤) قَتِيلا فَقَطْ!.

وَحَتَّى لَا يَتَعَلَّلَ أَحَدٌ بِأَنَّ أَعْدَادَ الْجُيُوشِ آنَذَاكَ كَانَتْ قَلِيلَةً؛ وَلِذَا جَاءَ عَدَدُ الْقَتْلَى عَلَى هَذَا النَّحْوِ، فَإِنَّنِي قُمْتُ بِإِحْصَاءِ عَدَدِ الْجُنُودِ الْمُشْتَرِكِينَ فِي الْمَعَارِكِ، ثُمَّ قُمْتُ بِحِسَابِ نِسْبَةِ الْقَتْلَى بِالنِّسْبَةِ إِلَى عَدَدِ الْمُقَاتِلِينَ، فَوَجَدْتُ مَا أَذْهَلَنِي! أَنَّ نِسْبَةَ الشُّهَدَاءِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْجُيُوشِ الْمُسْلِمَةِ تَبْلُغُ ١٪ فَقَطْ، بَيْنَمَا تَبْلُغُ نِسْبَةُ الْقَتْلَى مِنْ أَعْدَاءِ الْمُسْلِمِينَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى أَعْدَادِ جُيُوشِهِمْ ٢٪! وَبِذَلِكَ تَكُونُ النِّسْبَةُ الْمُتَوسِّطَةُ لِقَتْلَى الْفَرِيقَيْنِ هِيَ ١.٥٪ فَقَطْ!

إِنَّ هَذِهِ النِّسَبَ الضَّئِيلَةَ فِي مَعَارِكَ كَثِيرَةٍ – بَلَغَتْ خَمْسًا وَعِشْرِينَ أَوْ سَبْعًا وَعِشْرِينَ غَزْوَةً، وَثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ سَرِيَّةً، أَيْ أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ مَعْرَكَةً – لَمِنْ أَصْدَقِ الْأَدِلَّةِ عَلَى عَدَمِ دَمَوِيَّةِ الْحُرُوبِ فِي عَهْدِهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

وَلِكَيْ تَتَّضِحَ الصُّورَةُ بِشَكْلٍ أَكْبَرَ وَأَظْهَرَ فَقَدْ قُمْتُ بِإِحْصَاءِ عَدَدِ الْقَتْلَى فِي الْحُرُوبِ الْعَالَمِيَّةِ الثَّانِيَةِ – كَمِثَالٍ لِحُرُوبِ الْحَضَارَاتِ الْحَدِيثَةِ – فَوَجَدْتُ أَنَّ نِسْبَةَ الْقَتْلَى فِي هَذِهِ الْحَرْبِ الْحَضَارِيَّةِ بَلَغَتْ (٣٥١٪)!! فَالْأَرْقَامُ لَا تَكْذِبُ؛ فَقَدْ شَارَكَ

فِي الْحَرْبِ الْعَالَمِيَّةِ الثَّانِيَةِ (١٥.٦٠٠.٠٠٠) جندي (خمسة عشر مليونًا وستمائة ألف)، وَمَعَ ذَلِكَ فَعَدَدُ الْقَتْلَى بَلَغَ (٥٤.٨٠٠.٠٠٠) قتيل (أربعة وخمسين مليونًا وثمانمائة ألف)!! أي أكثر من ثلاثة أضعاف الجيوش المشاركة! وَتَفْسِيرُ هَذِهِ الزِّيَادَةِ هُوَ أَنَّ الْجُيُوشَ الْمُشَارِكَةَ جَمِيعًا – وَبِلَا اسْتِثْنَاءٍ – كَانَتْ تَقُومُ بِحُرُوبِ إِبَادَةٍ لِلْمَدَنِيِّينَ، وَكَانَتْ تُسْقِطُ الْآلَافَ مِنْ الْأَطْنَانِ مِنَ الْمُتَفَجِّرَاتِ عَلَى الْمُدُنِ وَالْقُرَى الْآمِنَةِ؛ فَتُبِيدُ الْبَشَرَ، وَتُفْنِي النَّوْعَ الْإِنْسَانِيَّ، فَضْلًا عَنْ تَدْمِيرِ الْبِنَى التَّحْتِيَّةِ، وَتَخْرِيبِ الِاقْتِصَادِ، وتَشْرِيدِ الشُّعُوبِ! لَقَدْ كَانَتْ كَارِثَةً إِنْسَانِيَّةً بِكُلِّ الْمَقَايِيسِ![1].

وَأَيْسَرُ مِنْ أَنْ نَسْتَقْصِيَ الْحُرُوبَ وَأَسْبَابَهَا فِي صَدْرِ الْإِسْلَامِ أَنْ نُلْقِيَ نَظْرَةً عَامَّةً عَلَى خَرِيطَةِ الْعَالَمِ فِي الْوَقْتِ الْحَاضِرِ لِنَعْلَمَ أَنَّ السَّيْفَ لَمْ يَعْمَلْ فِي انْتِشَارِ هَذَا الدِّينِ؛ فَإِنَّ الْبِلَادَ الَّتِي قَلَّتْ فِيهَا حُرُوبُ الْإِسْلَامِ هِيَ الْبِلَادُ الَّتِي يُقِيمُ فِيهَا الْيَوْمَ أَكْثَرُ مُسْلِمِي الْعَالَمِ، وَهي بِلَادُ إِنْدُونِيسْيَا وَالْهِنْدِ وَالصِّينِ، وَسَواحِلُ الْقَارَّةِ الْأَفْرِيقِيَّةِ، وَمَا يَلِيهَا مِنْ سُهُولِ الصَّحَارِي الْوَاسِعَةِ؛ فَإِنَّ عَدَدَ الْمُسْلِمِينَ فِيهَا قَرِيبٌ مِنْ ثَلَاثِمِائَةِ مِلْيُونٍ، وَلَمْ يَقَعْ فِيهَا مِنَ الْحُرُوبِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَأَبْنَاءِ تِلْكَ الْبِلَادِ إِلَّا الْقَلِيلَ الَّذِي لَا يُجْدِي فِي تَحْوِيلِ الْآلَافِ عَنْ دِينِهِمْ بِالْمَلَايِينِ، وَنُقَارِنُ بَيْنَ هَذِهِ الْبِلَادِ وَالْبِلَادِ الَّتِي اتَّجَهَتْ إِلَيْهَا غَزْوَات الْمُسْلِمِينَ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ فِي صَدْرِ الدَّعْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَهِيَ بِلَادُ الْعِرَاقِ وَالشَّامِ، فَإِنَّ عَدَدَ الْمُسْلِمِينَ فِيهَا الْيَوْمَ يقِلُّ كثيرًا جِدًّا عَنْ عَدَدِهِمْ فِي الدُّوَلِ

---

١) هذا إحصاء الدكتور راغب السرجاني في كتابه "أسوة للعاملين" ص (٣٣٧)، وهناك إحصاءات أخرى تختلف مع ذلك، ولعل السبب عدم وجود المهتمين بالإحصاء الدقيق للقتلة والشهداء آنذاك.

التي دَخَلَها الإسلامُ بِالدَّعْوَةِ وَبِغيْرِ السَّيْفِ، يَعِيشُ بَيْنَهُمْ مَنِ اخْتَارُوا الْبَقَاءَ عَلَى دِينِهِمْ مِنَ الْمَسِيحِيِّين وَالْيَهُودِ وَالْوَثَنِيِّينَ وَأَشْبَاهِ الْوَثَنِيِّينَ (١)!!

يَقُولُ الْمُؤَرِّخُ الْفَرَنْسِيُّ جُوستاف لُوبُونُ فِي كِتَابِهِ (حَضَارَةُ الْعَرَبِ) وَهُوَ يَتَحَدَّثُ عَنْ سِرِّ انْتِشَارِ الْإِسْلَامِ فِي عَهْدِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِي عُصُورِ الْفُتُوحَاتِ مِنْ بَعْدِهِ: « قَدْ أَثْبَتَ التَّارِيخُ أَنَّ الْأَدْيَانَ لَا تُفْرَضُ بِالْقُوَّةِ، وَلَمْ يَنْتَشِرْ الْإِسْلَامُ – إِذَنْ – بِالسَّيْفِ، بَلْ انْتَشَرَ بِالدَّعْوَةِ وَحْدَهَا، وَبِالدَّعْوَةِ وَحْدَهَا اعْتَنَقَتْهُ الشُّعُوبُ الَّتِي قَهَرَتْ العَرَبَ مؤخَّرًا كالترك والمغول، وَبَلَغَ الْقُرْآنُ مِنَ الِانْتِشَارِ فِي الْهِنْدِ – الَّتِي لَمْ يَكُنِ الْعَرَبُ فِيهَا غَيْرَ عَابِرِي سَبِيلٍ – مَا زَادَ عَدَدُ الْمُسْلِمِينَ إِلَى خَمْسِينَ مِلْيون نَفْس فِيهَا، وَلَمْ يَكُنِ الْإِسْلَامُ أَقَلَّ انْتِشَارًا فِي الصِّينِ الَّتِي لَمْ يَفْتَحِ الْعَرَبُ أَيَّ جُزْءٍ مِنْهَا قَطُّ... فَالْإِسْلَامُ إِذَنْ إِنَّمَا غَزَا الْقُلُوبَ وَأَسَرَ النُّفُوسَ بِقِيَمِهِ وَمُثُلِهِ.. وَإِنْ كَانَ بِإِمْكَانِ السَّيْفِ أَنْ يَفْتَحَ أَرْضًا.. فَلَيْسَ بِإِمْكَانِهِ أَنْ يَفْتَحَ قَلْبًا! » (٢).

* طبيعة الحروب الصليبية الدينية:

وإذا نظرنا إلى بُحُورِ الدَّمِ الَّتِي سَالَتْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي الْحُرُوبِ الصَّلِيبِيَّةِ الَّتِي اسْتَمَرَّتْ حَمَلَاتُهَا قَرْنَيْنِ مِنَ الزَّمَانِ (٤٨٩–٦٩٠هـ) (١٠٩٦–١٢٩١م)، وَاشْتَرَكَ فِيهَا الْمُلُوكُ وَأُمَرَاءُ الْإِقْطَاعِ وَالرِّعَاعُ مِنْ سَائِرِ أَنْحَاءِ أُورُوبَّا – حَتَّى لَكَأَنَّهَا أُولَى الْحُرُوبِ الْعَالَمِيَّةِ الَّتِي مَارَسَهَا الْغَرْبُ ضِدَّ الشَّرْقِ – وَفِي هَذِهِ الْحَرْبِ الصَّلِيبِيَّةِ

---

١) انظر: " أسوة للعالمين " ص (٣٣٦- ٣٣٩).

٢) عباس محمود العقاد: حقائق الإسلام وأباطيل خصومه، عباس محمود العقاد ص (١٦٩، ١٧٠).

اسْتُخْدِمَتِ الْكَنِيسَةُ الدِّينَ لِتَحْقِيقِ الْمَقَاصِدِ الِاسْتِعْمَارِيَّةِ، وَلِإِعَادَةِ اخْتِطَافِ الشَّرْقِ مِنَ التَّحْرِيرِ الْإِسْلَامِيِّ، الَّذِي أَنْقَذَ الشَّرْقَ وَنَصْرَانِيَّتَهِ مِنْ إِبَادَةِ الِاضْطِهَادِ (الْإِغْرِيقِي – الرُّومَانِي) الَّذِي دَامَ عَشَرَةَ قُرُونٍ – مِنَ الْإِسْكَنْدَرِ الْأَكْبَرِ (٣٥٦ – ٣٢٤ق.م) – فِي الْقَرْنِ الرَّابِعِ قَبْلَ الْمِيلَادِ – إِلَى الْفُتُوحَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ – فِي الْقَرْنِ السَّابِعِ لِلْمِيلَادِ.

إِنَّهَا حَرْبٌ قَادَتْهَا الْكَنِيسَةُ وَأَعْلَنَهَا الْبَابَا "أُورَبان الثاني" (١٠٨٨ – ١٠٩٩م) عِنْدَمَا خَاطَبَ فُرْسَانَ الْإِقْطَاعِ الْأُورُوبِيِّينَ سَنَةَ (١٠٩٥م) فِي (كِلِير مُونت) بجنوبي فَرَنْسَا – قَائِلًا: « يَا مَنْ كُنْتُمْ لُصُوصًا كُونُوا الْيَوْمَ جُنُودًا ! لَقَدْ آنَ الزَّمَانُ الَّذِي تحولون ضد الإسلام تلك الأسلحة التي أنتم إلى الآن تستخدمونها بعضكم ضد بعض... » إلى آخر ما قال.

وَبِهَذَا الْكَلَامِ تَحَوَّلَتِ الْمَقَاصِدُ الدِّينِيَّةُ الْمُقَدَّسَةُ إِلَى سُبُلٍ وَآلِيَّاتٍ وَطَاقَاتِ شَحْنٍ لِتَحْقِيقِ الِاسْتِعْمَارِ وَالنَّهْبِ وَالِاسْتِغْلَالِ..وَأَصْبَحَتِ الْآخِرَةُ فِي خِدْمَةِ لُصُوصِ الدُّنْيَا، وَحَمَلَتِ الْأَيْدِي الْمُخَضَّبَةُ بِدِمَاءِ الْمَظْلُومِينَ مَفَاتِيحَ الْفِرْدَوْسِ الْإِلَهِيِّ الْأَعْلَى.

وَفِي مَوْقِعَةِ احْتِلَالِ الصَّلِيبِيِّينَ لِمَدِينَةِ الْقُدْسِ وَحْدَهَا سَنَةَ (١٠٩٩م) تَمَّتْ مَجْزَرَةُ الْإِبَادَةِ الْكَامِلَةِ لِسُكَّانِهَا الْمُسْلِمِينَ – وَمَعَهُمُ الْيَهُودُ – بِالْقَتْلِ وَالذَّبْحِ وَالْإِحْرَاقِ.

ثُمَّ كَتَبُوا إِلَى "أوربانَ الثَّانِي"، الَّذِي صَنَعَ لَهُمْ مَفَاتِيحَ الْجَنَّةِ لِقَاءَ هَذَا الَّذِي صَنَعُوا بِالْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ... فَقَالُوا: « يَا لَيْتَكَ كُنْتَ مَعَنَا لِتَشْهَدَ خُيُولَنَا وَهِيَ تَسْبَحُ فِي دِمَاءِ الْكُفَّارِ (أَيِ: الْمُسْلِمِينَ) »!!

وَصَفْحَةٌ أُخْرَى – دَامِيَةٌ – مِنْ صَفَحَاتِ الْحُرُوبِ الدِّينِيَّةِ لِلْكَنِيسَةِ الْغَرْبِيَّةِ، تِلْكَ

الَّتِي تَمَثَّلَتْ فِي نَشْرِ النَّصْرَانِيَّةِ بِحَدِّ السَّيْفِ، وَإِبَادَةِ كُلِّ مَنْ لَمْ يَتَدَيَّنْ بِدِينِ الْمَلِكِ أَوِ الْأَمِيرِ الَّذِي اعْتَنَقَ النَّصْرَانِيَّةَ !...

- فَالْمَلِكُ "شارلمان" (٧٤٢ – ٨١٤م) فَرَضَ النَّصْرَانِيَّةَ عَلَى السَّكْسُونِيِّينَ بِحَدِّ السَّيْفِ!..

- وَفِي الدَّنِمَارك، اسْتَأْصَلَ الْمَلِكُ "كنوت- Cnut" (٩٩٥-١٠٣٥م) الدِّيَانَاتِ غَيْرَ الْمَسِيحِيَّةِ مِنْ بِلَادِهِ بِالْقُوَّةِ وَالْإِرْهَابِ !..

- وَفِي رُوسيَا، فَرَضَ الْأَمِيرُ "فِلَادِيمير Vladimir" (٩٨٠- ١٠١٥م) الْمَسِيحِيَّةَ الْأَرْثُوذُكْسِيَّةَ عَلَى كُلِّ الرُّوسِ غَدَاةَ اعْتِنَاقِهِ لَهَا سَنَةَ ٩٨٨م !.

- وَفِي الْجَبَلِ الْأَسْوَدِ، ذَبَحَ "دانيال بيتروفيتش – D. Peteovich" غَيْرَ الْمَسِيحِيِّينَ – بِمَنْ فِيهِمْ الْمُسْلِمُونَ – لَيْلَةَ عِيدِ الْمِيلَادِ سَنَةَ (١٧٠٣م) !..

- وَفِي الْمَجَرِ أَرْغَمَ الْمَلِكُ "شَارل روبرت" (١٣١٦-١٣٧٨م) غَيْرَ الْمَسِيحِيِّينَ عَلَى التَّنَصُّرِ أَوِ النَّفْيِ مِنَ الْبِلَادِ سَنَةَ (١٣٤٠م) !..

- وَفِي إِسْبَانيَا – قَبْلَ الْفَتْحِ الْإِسْلَامِيِّ لَهَا – أَقْسَمَ الْمُلُوكُ عَلَى التَّنْفِيذِ بِالْقُوَّةِ لِقَرَارِ "الْمَجْمَعِ الْكَنَسِيِّ السَّادِسِ" – فِي طُلَيْطِلَةَ – بِتَحْرِيمِ كُلِّ الْمَذَاهِبِ الْمُخَالِفَةِ لِلْمَذْهَبِ الْكَاثُولِيكِيِّ .

- وَأَمَّا الْحُرُوبُ الدِّينِيَّةُ الَّتِي قَادَتْهَا وَخَاضَتْهَا الْكَنَائِسُ بَعْضُهَا ضِدَّ الْبَعْضِ الْآخَرِ فَهِيَ كَثِيرَةٌ ، لَيْسَ هَذَا مَوْضِعَ ذِكْرِهَا.

وَنَقُولُ هُنَا إِنَّ أَحْدَثَ مَوْجَاتِ الْحُرُوبِ الدِّينِيَّةِ الْغَرْبِيَّةِ ضِدَّ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ تِلْكَ

الَّتِي أَعْلَنَهَا الْيَمِينُ الدِّينِيُّ الْأَمْرِيكِيُّ، فِي الْإِدَارَةِ الْأَمْرِيكِيَّةِ السَّابِقَةِ، بِقِيَادَةِ " جُورج بُوش - الصَّغِيرِ"، بَعْدَ أَحْدَاثِ الْحَادِي عَشَرَ مِنْ سِبْتَمْبِرَ سَنَةَ (٢٠٠١م) - فِي أَمْرِيكَا.

لَقَدْ وَصَفَ "جورج بوش- الصَّغِيرُ" هَذِهِ الْحَرْبَ فِي ١٦ سبتمبر سَنَةَ (٢٠٠١م) - بِأَنَّهَا "حَمْلَةٌ صَلِيبِيَّةٌ"- وَهِيَ عِبَارَةٌ ذَاتُ مَعْنًى فِي الْعَقْلِ الْمُسْلِمِ تَارِيخِيًّا - ثُمَّ جَرَتْ مُحَاوَلَاتٌ غَرْبِيَّةٌ.. وَمُتَغَرِّبَةٌ !- لِلتَّخْفِيفِ مِنْ وَقْعِ هَذِهِ الْعِبَارَةِ عَلَى الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ، بِالْقَوْلِ: إِنَّهَا "زَلَّةُ لِسَانٍ".

لَكِنَّ تَدَاعِيَاتِ الْوَقَائِعِ وَالْأَحْدَاثِ، فِي هَذِهِ الْحَرْبِ الْمُمْتَدَّةِ، قَدْ جَعَلَتْ حَتَّى الفاتيكان - وَهُوَ أَكْبَرُ كَنَائِسِ النَّصْرَانِيَّةِ يُعْلِنُ مِنْ خِلَالِ إِذَاعَتِهِ الرَّسْمِيَّةِ الَّتِي تُذِيعُ بِتِسْعٍ وَثَلَاثِينَ لُغَةً، وَعَلَى لِسَانِ مُدِيرِ هَذِهِ الْإِذَاعَةِ الرَّسْمِيَّةِ الْأَبِ "باسكوالي بور جوميو" - يُعْلِنُ أَنَّ الْإِدَارَةَ الْأَمْرِيكِيَّةَ، فِي حَمْلَتِهَا عَلَى الْعِرَاقِ، تَتَصَرَّفُ "بِلَهْجَةٍ وَمَوَاقِفَ صَلِيبِيَّةٍ"، فَيَقُولُ: « فِي الْوَقْتِ الَّذِي يَدْعُو الْفَاتِيكَانُ إِلَى التَّعَقُّلِ، وَيُشَجِّعُ الْعَمَلُ الدُّبْلُومَاسِيُّ، وَيُدَافِعُ عَنِ الْحَقِّ الدَّوْلِيِّ نَرَى فِي الْجَانِبِ الْآخَرِ قُوَّةً عُظْمَى تَقُودُهَا إِدَارَةٌ خَوَّلَتْ لِنَفْسِهَا مُهِمَّةً إِنْقَاذِيَّةً (مُقَدَّسَةً)، وَاتَّخَذَتْ لَهْجَةً وَمَوَاقِفَ صَلِيبِيَّةً » !..

قَالَ الْكَارْدِينَالُ "بَيُولَاجِي" - مَنْدُوبُ الْبَابَا فِي الْمَسَاعِي الدُّبْلُومَاسِيَّةِ لِتَجَنُّبِ الْحَرْبِ ضِدَّ الْعِرَاقِ - « إِنَّهَا حَرْبٌ سَتَقُودُنَا إِلَى مُسْتَقْبَلٍ مُظْلِمٍ سَيُقَوِّضُ فُرَصَ الْحِوَارِ بَيْنَ الْمَسِيحِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ ».

*** تَوْضِيحٌ لَازِمٌ :**

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾﴾ (الغاشية)، ﴿قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾﴾ (الأنعام)، ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى

﴿مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ٥٦﴾ (القصص:٥٦).

إنَّ الْإِيمَانَ الْقَلْبِيَّ لَا يَمْلِكُهُ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَا هُوَ مُسَيْطِرٌ عَلَيْهِ، وَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَهْدِيَ مَنْ يَشَاءُ ، بَلْ الْأَمْرُ بِيَدِ اللهِ وَحْدَهُ؛ لِهَذَا كَانَ الْمِنْهَاجُ الرَّبَّانِيُّ هُوَ الدَّعْوَةُ إِلَى هَذَا الدِّينِ بِاللِّينِ وَالرِّفْقِ وَالْحِكْمَةِ، وَفَلْسَفَةِ هَذَا الْمِنْهَاجِ السِّلْمِيِّ فِي الدَّعْوَةِ إِلَى الْإِيمَانِ الدِّينِيِّ، بِأَنَّ الْإِيمَانَ – الَّذِي هُوَ تَصْدِيقٌ قَلْبِيٌّ يَصِلُ إِلَى مَرْتَبَةِ الْيَقِينِ – يَسْتَحِيلُ تَحْصِيلُهُ وَبُلُوغُهُ عَنْ غَيْرِ طَرِيقِ هَذَا الْمِنْهَاجِ، إِذِ الْإِكْرَاهُ يُثْمِرُ النِّفَاقَ، وَلَا يُثْمِرُ إِيمَانًا بِأَيِّ حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ... وَلِذَلِكَ جَاءَ النَّهْيُ عَنِ الْإِكْرَاهِ فِي الدِّينِ، انْطِلَاقًا مِنْ نَفْيِ إِمْكَانِيَّةِ تَحْصِيلِ الدِّينِ الْحَقِّ بِوَاسِطَةِ الْإِكْرَاهِ ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾ (البقرة:٢٥٦).

وَلَقَدْ أَفَاضَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ فِي تَأْكِيدِ هَذَا الْمَنْهَجِ السِّلْمِيِّ فِي الدَّعْوَةِ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَفِي تَحْصِيلِ الْإِيمَانِ بِالدِّينِ.

– فَشَرَّعَ لِفَلْسَفَةِ "التَّدَافُعِ" – الَّذِي هُوَ حَرَاكٌ فِكْرِيٌّ وَاجْتِمَاعِيّ بَيْنَ الْفُرَقَاءِ – وَهِيَ مُخْتَلِفَةٌ عَنْ فَلْسَفَةِ "الصِّرَاعِ" – فَفِي الصِّرَاعِ يَصْرَعُ كُلُّ طَرَفٍ الطَّرَفَ الْآخَرَ، مُنْهِيًا بِذَلِكَ التَّعَدُّدِيَّةَ وَالتَّعَايُشَ وَالْحِوَارَ:... بَيْنَمَا "التَّدَافُعَ" حَرَاكٌ يُعَدِّلُ الْمَوَاقِفَ، وَيُعِيدُ التَّوَازُنَ وَالْعَدْلَ، مَعَ بَقَاءِ التَّعَدُّدِيَّةِ وَالتَّعَايُشِ وَالْحِوَارِ وَالتَّفَاعُلِ بَيْنَ مُخْتَلِفِ الْفُرَقَاءِ: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣ وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ٣٥﴾ (فصلت).

فَالتَّدَافُعُ حَرَاكٌ يُعَدِّلُ الْأَمْرَ، مَعَ الْحِفَاظِ عَلَى وُجُودِ الْآخَرِ وَعَلَى تَمَيُّزِهِ، رَجَاءَ أَنْ تَحُلَّ الْمَوَدَّةُ بَيْنَ الْفُرَقَاءِ الْمُتَعَدِّدِينَ مَحَلَّ الْعَدَاوَةِ وَالْبَغْضَاءِ.

- وَفِي مُوَاجَهَةِ الْفَلْسَفَاتِ الَّتِي اعْتَبَرَتْ الْقَتْلَ وَالْقِتَالَ وَإِزْهَاقَ الْأَرْوَاحِ جِبِلَّةً جُبِلَ عَلَيْهَا الْإِنْسَانُ، وَغَرِيزَةً مِنْ غَرَائِزِهِ الْمُتَأَصِّلَةِ فِيهِ.. بَلِ اعْتَبَرَتِ الْحُرُوبَ طَرِيقًا لِلتَّقَدُّمِ !.. فِي مُوَاجَهَةِ هَذِهِ الْفَلْسَفَاتِ، أَعْلَنَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ أَنَّ الْقِتَالَ مَكْرُوهٌ.. واسْتِثْنَاءٌ.. وَلَيْسَ الْقَاعِدَةَ.. وَهُوَ ضَرُورَةٌ تُقَدَّرُ بِقَدْرِهَا، وَلَيْسَ هُوَ السَّبِيلَ إِلَى تَقَدُّمِ الْأُمَمِ وَتَطَوُّرِ الْمُجْتَمَعَاتِ وَازْدِهَارِ الْعُلُومِ وَالْحَضَارَاتِ: ﴿**كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ**﴾(البقرة:٢١٦).

وبِمِثْلِ هَذَا جَاءَ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ، لَا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ، وَاسْأَلُوا اللهَ الْعَافِيَةَ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ }**(١).

وَفِي إِطَارِ هَذَا الْمَنْهَجِ السِّلْمِيِّ فِي الدَّعْوَةِ وَتَحْصِيلِ الْإِيمَانِ الدِّينِيِّ، عَرَضَ الْإِسْلَامُ قَوَاعِدَهُ: ﴿**قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝٦**﴾ (الكافرون)، ﴿**وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ**

---

١) رواه مسلم برقم (١٧٤٢).

﴿ يَشْوِي الْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ ﴾ (الكهف)، ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ ﴾ (التوبة).

وَلَمْ تَخْرُجْ "الدَّوْلَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ" – الَّتِي تَكَوَّنَتْ عَقِبَ الْهِجْرَةِ سَنَةَ (١٤هـ – ٦٢٢م)، وَامْتَلَكَتْ وَطَنًا وَأُمَّةً وَنُظُمًا وَجَيْشًا وَمُؤَسَّسَاتٍ عِقَابِيَّةً – عَمَا كان عَلَيهِ الرُّسُلُ الكِرامِ فِي الْبَلَاغِ والدَّعْوَةِ إِلَى الدِّينِ.. فَوَقَفَتْ كُلُّ حُرُوبِهَا عِنْدَ حُدُودِ الْقِصَاصِ الَّذِي يَرُدُّ الْعُدْوَانَ عَلَى حُرِّيَّةِ الدَّعْوَةِ وَحُرِّيَّةِ الضَّمِيرِ، وَذَلِكَ حَتَّى تَضْمَنَ الدَّوْلَةُ لِلْمُؤْمِنِينَ حُرِّيَّةَ الْعَيْشَ الْحُرِّ وَالْآمِنِ فِي الْأَوْطَانِ الَّتِي يَعِيشُونَ فِيهَا.. فَكَانَ الْإِذْنُ بِالْقِتَالِ، والْأَمْرُ بِهِ، لَا لِلْإِجْبَارِ عَلَى الدُّخُولِ فِي الدِّينِ وَالْإِيمَانِ بِهِ.. وَإِنَّمَا لِحِمَايَةِ حُرِّيَّةِ الدَّعْوَةِ وَالْإِيمَانِ مِنَ الْفِتْنَةِ فِي الدِّينِ... ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ ﴾ (البقرة).

وَحَتَّى آيَاتُ سُورَةِ التَّوْبَةِ الَّتِي يُرْجِفُ بِها الْمُرْجِفُونَ فَيَزْعُمُونَ أَنَّهَا تُمَثِّلُ "الْوَجْهَ الْقِتَالِيَّ وَالْعَنِيفَ" لِلْإِسْلَامِ.. نَجِدُهَا تُمَيِّزُ :

– بَيْنَ الْمُشْرِكِينَ الْمُعَاهِدِينَ، الْمُحْتَرِمِينَ لِلْعُهُودِ، فَتَدْعُو الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْوَفَاءِ بِعُهُودِهِمْ: ﴿ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾ ﴾ (التوبة) ،

– وَبَيْنَ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَا عَهْدَ لَهُمْ، وَالَّذِينَ : ﴿ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ (التوبة)...

فَالْقِتَالُ هُنَا مُوَجَّهٌ لِلْمُعْتَدِينَ الَّذِينَ لَا يَحْتَرِمُونَ الْعُهُودَ، وَيَفْتِنُونَ الْمُؤْمِنِينَ فِي دِينِهِمْ، وَيُخْرِجُونَهُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ: ﴿ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّوا۟ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾(التوبة:١٣).

وَيُخْبِرُنَا التَّارِيخُ بِوَصَايَا النَّبِيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بِنَصَارَى نَجْرَانَ وَالرِّفْقِ بِهِمْ،وَعَلَى هَدْيِهِ سَارَ صَحَابَتُهُ وَالصَّالِحُونَ مِن أُمَّتِهِ. فَأَيْنَ الدَّمُ ؟ وَأَيْنَ اسْتِعْمَالُ السَّيْفِ ؟

نَعَمْ عِنْدَنَا سَيْفٌ لِرَدِّ عُدْوَانِ الْمُعْتَدِينَ، وَبِالْوَسَائِلِ الْمُكَافِئَةِ لِوَسَائِلِ الْعُدْوَانِ: ﴿ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ ﴾(البقرة). وعندنا سيف لمن وقف في وجه الدعوة كي لا تصل إلى عامة الناس

*** فَهْمٌ مَغْلُوطٌ :**

أَمَّا حَدِيثُ رَسُولِ الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ الَّذِي يُسَاءُ فَهْمُهُ كَثِيرًا، وَالَّذِي يَقُولُ فِيهِ: **{ أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ... }**(١).. فَإِنَّ "أَلْ" فِي كَلِمَةِ "النَّاسِ" هُنَا هِيَ "لِلْعَهْدِ" أَيْ النَّاسُ الْمَعْهُودِينَ، الْمُقَاتِلِينَ، الْمُعْتَدِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ بِفِتْنَتِهِمْ فِي دِينِهِمْ وَإِخْرَاجِهِمْ مِنْ دِيَارِهِمْ، الذينَ يَصُدُّونَ النَّاسَ وَيَمْنَعُونَهُمْ مِنْ وُصولِ دَعْوَةِ الإِسْلامِ إِلَيْهِمْ.. فَالْحَدِيثُ هُنَا عَنِ هَذِهِ الأَصْنافِ مِنَ النَّاسِ، وَلَيْسَ كُلَّ النَّاسِ، وَلَا مُطْلَقَ النَّاسِ.. وَالْمَقَامُ مَقَامُ زَمَنِ الْحَرْبِ وَالْقِتَالِ.. وَكَلِمَةُ "الناس" فِي هَذَا الْحَدِيثِ كَكَلِمَةِ "النَّاسِ" فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

---

١) متفق عليه : رواه البخاري برقم (١٣٩٩)، ومسلم برقم (٢٠).

عِنْدَمَا يُرَادُ بِهَا أُنَاسٌ مَعْهُودُونَ مَحْدُودُونَ : ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ (آل عمران).

وَيَشْهَدُ عَلَى ذَلِكَ الرِّوَايَةُ الْأُخْرَى وَمِنْهَا { أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ الْمُشْرِكِينَ }[1]... وَيَشْهَدُ عَلَى ذَلِكَ أَيْضًا تَحْرِيمُ الْإِسْلَامِ مُقَاتَلَةَ الْمُشْرِكِينَ غَيْرِ الْمُحَارِبِينَ مِنَ الْمُعَاهَدِينَ، وَمِنَ النِّسَاءِ وَالْأَطْفَالِ وَالْقَاعِدِينَ وَرِجَالِ الدِّينِ.... إِلَخ؛ وَمِنْ ثَمَّ فَلَا عَلَاقَةَ لِهَذَا الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ – مِنْ قَرِيبٍ أَوْ بَعِيدٍ – بِالتَّشْرِيعِ لِقِتَالِ الْمُخَالِفِينَ فِي الِاعْتِقَادِ الدِّينِيِّ، لِمُجَرَّدِ الِاخْتِلَافِ فِي الِاعْتِقَادِ... فَالْمَقْصُودُ بِـ "النَّاسِ": الْمُعْتَدُونَ الْمُقَاتِلُونَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، المانِعونَ مِنْ نَشْرِ دَعْوَةِ الإِسْلامِ ، الْمُتَرَبِّصونَ بها الدَّاوِئِرَ.

وَحَتَّى هَذَا الْقِتَالُ الَّذِي كُتِبَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَهُوَ كُرْهٌ لَهُمْ وَالَّذِي هَدَفُهُ فِي الْإِسْلَامِ وَدَوْلَتِهِ حِمَايَةُ حُرِّيَّةِ الْعَقِيدَةِ وَحُرِّيَّةِ الدَّعْوَةِ مِنَ الْفِتْنَةِ الَّتِي هِيَ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ الْمَادِيِّ، وَلِحِمَايَةِ حُرِّيَّةِ الْوَطَنِ، وَالْحَيْلُولَةِ دُونَ إِخْرَاجِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ دِيَارِهِمْ.. حَتَّى هَذَا الْقِتَالُ – الِاسْتِثْنَاءُ وَالضَّرُورَةُ – قَدْ وَضَعَ لَهُ الْإِسْلَامُ وَدَوْلَتُهُ " دُسْتُورًا أَخْلَاقِيًّا " تَجَاوَزَ فِي مِثَالِيَّتِهِ الَّتِي طَبَّقَهَا الْمُسْلِمُونَ كُلَّ الْمَوَاثِيقِ الَّتِي تَعَارَفَ عَلَيْهَا الْمُجْتَمَعُ الدَّوْلِيُّ نُظَرِيًّا بَعْدَ أَرْبَعَةَ عَشَرَ قَرْنًا مِنْ ظُهُورِ الْإِسْلَامِ !...

- فَفِي الْقَوَاعِدِ الْأَخْلَاقِيَّةِ لِدُسْتُورِ الْفُرُوسِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ:

عَنْ بُرَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ،

---

١) رواه أبو داود برقم (٢٦٤٢)، والنسائي في سننه برقم (٣٩٦٦) ، و اللفظ له، وصحَّحه الألباني.

أَوْ سَرِيَّةٍ، أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللهِ، وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا، ثُمَّ قَالَ: **{ اغْزُوا بِاسْمِ اللهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللهِ، اغْزُوا وَلَا تَغُلُّوا (لَا تَخُونُوا)، وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تُمَثِّلُوا (لَا تُمَثِّلُوا بِجُثَثِ الْقَتْلَى)، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا ... }**(١).

وَلَقَدْ صَاغَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَوَاعِدَ هَذَا الدُّسْتُورِ الْأَخْلَاقِيِّ لِلْحَرْبِ فِي وَثِيقَةٍ إِسْلَامِيَّةٍ، عِنْدَمَا أَوْصَى يَزِيدَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ (١٨هـ- ٦٣٩م)، وَهُوَ يُوَدِّعُهُ أَمِيرًا عَلَى الْجَيْشِ الذَّاهِبِ لِرَدِّ عُدْوَانِ الْبِيزَنْطِيِّينَ فِي الشَّامِ، فَقَالَ فِي وَثِيقَةِ الْوَصَايَا الْعَشْرِ: « **إِنَّكَ سَتَجِدُ قَوْمًا زَعَمُوا أَنَّهُم حَبَسُوا أَنْفُسَهُمْ لله - يَقْصِدُ الرُّهْبَانَ - فَدَعْهُمْ وَمَا زَعَمُوا أَنَّهُمْ حَبَسُوا أَنْفُسَهُمْ لَهُ.. وَإِنِي مُوصِيكَ بِعَشْرٍ: لَا تَقْتُلَنَّ امْرَأَةً، وَلَا صَبِيًّا، وَلَا كَبِيرًا هَرِمًا. وَلَا تَقْطَعَنَّ شَجَرًا مُثْمِرًا. وَلَا تُخَرِّبَنَّ عَامِرًا. وَلَا تَعْقِرَنَّ شَاةً وَلَا بَعِيرًا إِلَّا لِمَأْكَلِهِ. وَلَا تَحْرِقَنَّ نَخْلًا. وَلَا تُغَرِّقَنَّهُ. وَلَا تَغْلُلْ. وَلَا تَجْبُنْ** »(٢)

وَلِأَنَّ هَذِهِ هِيَ حَقِيقَةُ الْمَوْقِفِ الْإِسْلَامِيِّ: الدَّعْوَةُ إِلَى الدِّينِ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ.. وَالْجِدَالُ مَعَ الْمُخَالِفِينَ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ.. وَالدَّعْوَةُ إِلَى حِمَايَةِ حُرِّيَّةِ الضَّمِيرِ وَالِاعْتِقَادِ..وَاللُّجُوءُ إِلَى الْقِتَالِ – كَضَرُورَةٍ اسْتِثْنَائِيَّةٍ مَفْرُوضَةٍ وَمَكْرُوهَةٍ.

وَلَقَدِ اسْتَمَرَّ هَذَا الْمِنْهَاجُ الرَّبَانِيُّ فِي الدَّعْوَةِ إِلَى الْإِسْلَامِ سَائِدًا وَحَاكِمًا فِي "الدَّوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ" وَ"التَّارِيخِ الْإِسْلَامِيِّ" وَ"الْحَضَارَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ" وَ"التُّرَاثِ الْإِسْلَامِيِّ"....

---

١) رواه مسلم برقم (١٧٣١).

٢) رواه مالك في الموطأ برقم (١٦٢٧)- تحقيق الأعظمي.

لَقَدْ فَتَحَ الْمُسْلِمُونَ فِي ثَمَانِينَ عَامًا أَوْسَعَ مِمَّا فَتَحَ الرُّومَانُ فِي ثَمَانِيَةِ قُرُونٍ.. لَكِنَّ الْفَتْحَ الرُّومَانِيَّ كَانَ فَتْحَ قَهْرٍ وَاسْتِعْبَادٍ – رَأَيْنَا صَنِيعَهُ فِي الِاضْطِهَادِ الدِّينِيِّ وَالْحَضَارِيِّ لِلنَّصْرَانِيَّةِ الشَّرْقِيَّةِ – بَيْنَمَا كَانَ الْفَتْحُ الْإِسْلَامِيُّ فَتْحَ تَحْرِيرٍ لِضَمَائِرِ الشُّعُوبِ الشَّرْقِيَّةِ مِنْ هَذَا الِاضْطِهَادِ الدِّينِيِّ وَالْحَرْبِ الدِّينِيَّةِ، حَتَّى شَهِدَ بِذَلِكَ أَهْلُ الدِّيَانَاتِ الْأُخْرَى، مِنْ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ....

فَـ"مِيخَائِيلُ السُّرْيَانِيُّ" يَقُولُ: « لَمْ يَسْمَحِ الْإِمْبِرَاطُورُ الرُّومَانِيُّ لِكَنِيسَتِنَا بِالظُّهُورِ، وَلَمْ يُصْغِ إِلَى شَكَاوَى الْأَسَاقِفَةِ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالْكَنَائِسِ الَّتِي نُهِبَتْ، وَهَذَا فَقَدِ انْتَقَمَ الرَّبُّ مِنْهُ، لَقَدْ نَهَبَ الرُّومَانُ الْأَشْرَارُ كَنَائِسَنَا وَأَدْيِرَتِنَا بِقَسْوَةٍ بَالِغَةٍ، وَاتَّهَمُونَا دُونَ شَفَقَةٍ، وَهَذَا جَاءَ إِلَيْنَا مِنَ الْجُنُوبِ أَبْنَاءُ إِسْمَاعِيلَ لِيُنْقِذُونَا مِنْ أَيْدِي الرُّومَانِ، وَتَرَكَنَا الْعَرَبُ نُمَارِسُ عَقَائِدَنَا بِحُرِّيَّةٍ، وَعِشْنَا فِي سَلَامٍ...».

فَكَانَ الْفَتْحُ الْإِسْلَامِيُّ تَحْرِيرًا وَإِنْقَاذًا لِلنَّصْرَانِيَّةِ الشَّرْقِيَّةِ مِنْ إِبَادَةِ النَّصْرَانِيَّةِ الْغَرْبِيَّةِ وَالِاسْتِعْمَارِ الرُّومَانِيِّ الْبِيزَنْطِيِّ.. حَتَّى لَيُمْكِنُ الْقَوْلُ، دُونَ مُبَالَغَةٍ: إِنَّ بَقَاءَ النَّصْرَانِيَّةِ الشَّرْقِيَّةِ وَوُجُودَهَا إِنَّمَا هُوَ "هِبَةُ الْإِسْلَامِ.. وَالْفُتُوحَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ .

ولَقَدْ تَرَكَتِ الدَّوْلَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ النَّاسَ – فِي الْبِلَادِ الَّتِي تَحَرَّرَتْ بِالْفُتُوحَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ – وَمَا يَدِينُونَ.

وَلَقَدْ صَدَّقَتِ الْمُمَارَسَاتُ النَّبَوِيَّةُ عَلَى هَذَا الْمَوْقِفِ الْقُرْآنِيِّ مِنَ الدِّيَانَاتِ السَّابِقَةِ، فَوَجَدْنَا "حَاطِبَ بْنَ أَبِي بَلْتَعَةَ" الَّذِي حَمَلَ رِسَالَةَ رَسُولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى "الْمُقَوْقِسَ" – عَظِيمِ الْقِبْطِ بِمِصْرَ – سَنَةَ (٣هـ، ٦٢٨م)، يُخَاطِبُ الْمُقَوْقِسَ: فَيَقُولُ لَهُ: « إِنَّ لَكَ دِينًا (أَيْ:النَّصْرَانِيَّةَ) لَنْ تَدَعَهُ إِلَّا لِمَا هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ، وَهُوَ الْإِسْلَامُ،

الْكَافِي بِهِ هُوَ اللهُ وَحْدَهُ لَا سِوَاهُ. وَمَا بِشَارَةُ مُوسَى بِعِيسَى إِلَّا كَبِشَارَةِ عِيسَى بِمُحَمَّدٍ، وَمَا دُعَاؤُنَا لَكَ إِلَى الْقُرْآنِ إِلَّا كَدُعَائِكَ أَهْلَ التَّوْرَاةِ إِلَى الْإِنْجِيلِ، وَلَسْنَا نَنْهَاكَ عَنْ دِينِ الْمَسِيحِ، وَلَكِنَّنَا نَأْمُرُكَ بِهِ ».

وَلِذَلِكَ، كَانَ انْتِشَارُ الْإِسْلَامِ فِي هَذِهِ الْبِلَادِ الَّتِي حَرَّرَتْهَا الْفُتُوحَاتُ الْإِسْلَامِيَّةُ تَدْرِيجِيًّا، وَدُونَ إِكْرَاهٍ، بَلْ دُونَ مُؤَسَّسَةٍ دِينِيَّةٍ تَقُومُ حَتَّى بِالتَّرْغِيبِ فِي هَذَا الدِّينِ الْجَدِيدِ !. حَتَّى لَيَقُولُ الْعَالِمُ الْإِنْجِلِيزِيُّ "سير. توماس أرنولد" (١٨٦٤-١٩٣٠م): « إِنَّهُ مِنَ الْحَقِّ أَنْ نَقُولَ: إِنَّ غَيْرَ الْمُسْلِمِينَ نَعِمُوا – بِوَجْهِ الْإِجْمَالِ – فِي ظِلِّ الْحُكْمِ الْإِسْلَامِيِّ، بِدَرَجَةٍ مِنَ التَّسَامُحِ لَا نَجِدُ مُعَادِلًا لَهَا فِي أُورُوبَّا قَبْلَ الْأَزْمِنَةِ الْحَدِيثَةِ ».

وَفَارِقٌ بَيْنَ تَسَامُحِ أُورُوبَّا مَعَ الْأَدْيَانِ بَعْدَ أَنْ أَدَارَتْ ظَهْرَهَا – بِالْعَلْمَانِيَّةِ – لِلْأَدْيَانِ، وَبَيْنَ تَسَامُحِ الْمُسْلِمِينَ فِي ظِلِّ حَاكِمِيَّةِ الْإِسْلَامِ لِلدَّوْلَةِ وَالْمُجْتَمَعِ وَكُلِّ مَنَاحِي الْحَيَاةِ.

فَبَعْدَ قَرْنٍ مِنَ الْفَتْحِ الْإِسْلَامِيِّ، كَانَ الَّذِين دَخَلُوا الْإِسْلَامَ – مِنْ مصْرَ وَفَارِس وَسُوريَا – لَا يَزِيدُونَ عَلَى ٢٠٪ مِنَ السُّكَّانِ.. "فَالدَّوْلَةُ" إِسْلَامِيَّةٌ.. وَ"الرَّعِيَّةُ" عَلَى دِيَانَاتِهَا الْقَدِيمَةِ.

لَقَدْ كَانَ لِطَبِيعَةِ الْإِسْلَامِ وَلِمَوْقِفِهِ الْإِيجَابِيِّ مِنَ الدِّيَانَاتِ السَّابِقَةِ – كُتُبِهَا وَرُسُلِهَا وَقِيَمِهَا وَمُقَدَّسَاتِهَا وَقُدْسِيَّتِهَا – أَثَرٌ كَبِيرٌ فِي تَحَوُّلِ أَبْنَاءِ تِلْكَ الدِّيَانَاتِ إِلَيْهِ.. فَهَذَا التَّحَوُّلِ يمثل لَهُمْ تَقَدُّمًا وَارْتِقَاءً عَلَى سُلَّمِ التَّدَيُّنِ بِدِينِ اللهِ الْوَاحِدِ، وَلَا يُمَثِّلُ انْقِلَابًا مُعَادِيًا لِمَوَارِيثِهِمُ الدِّينِيَّةِ الْأَصْلِيَّةِ...

وَبِعِبَارَةِ الْمُسْتَشْرِقِ الْإِنْجِلِيزِيِّ "مُونْتُجُمْرِي وَات": « فَإِنَّ الْإِسْلَامَ كَانَ يُمَهِّدُ

لِانْتِقَالٍ مَرِنٍ نَاعِمٍ مِنَ الصُّوَرِ الرَّاقِيَةِ لِأَدْيَانٍ مَوْجُودَةٍ بِالْفِعْلِ لِدِينٍ جَدِيدٍ (الْإِسْلَامِ) .. ».

بَلْ إِنَّ هَذِهِ الْمَصَادِرَ "النَّصْرَانِيَّةَ – الْغَرْبِيَّةَ" تُرْجِعُ تَحَوُّلَ نَصَارَى الشَّرْقِ مِنَ النَّصْرَانِيَّةِ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَتَحَوُّلِ الشَّرْقِ إِلَى قَلْبٍ لِلْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ بَعْدَ أَنْ كَانَ قَلْبُ الْعَالَمِ الْمَسِيحِيِّ... تُرْجِعُ ذَلِكَ إِلَى عَوَامِلَ دَاخِلِيَّةٍ فِي الْكَنَائِسِ النَّصْرَانِيَّةِ الْمُتَصَارِعَةِ، وَإِلَى مَا أَصَابَ الْعَقَائِدَ النَّصْرَانِيَّةَ فِي الشَّرْقِ مِنْ تَحَوُّلَاتٍ، وَهِيَ تَحَوُّلَاتٌ جَعَلَتْ عَقِيدَةَ التَّوْحِيدِ الْإِسْلَامِيِّ الْبَسِيطَةَ الْوَاضِحَةَ أَكْثَرَ جَاذِبِيَّةً، وَتَلْبِيَةً لِلاحْتِيَاجَاتِ الرُّوحِيَّةِ لِهَذَا الْإِنْسَانِ الشَّرْقِيِّ.

وَلْنَسْتَأْنِسْ بِشَهَادَاتِ بَعْضٍ مِنْ عُلَمَاءِ النَّصَارَى الْغَرْبِيِّينَ :

• يَقُولُ الْمُسْتَشْرِقُ الْإِيطَالِيُّ "كايتاني- ليون - Caetani" (١٨٦٩– ١٩٢٦م): « إِنَّ انْتِشَارَ الْإِسْلَامِ بَيْنَ نَصَارَى الْكَنَائِسِ الشَّرْقِيَّةِ إِنَّمَا هُوَ كَانَ نَتِيجَةَ شُعُورٍ بِالِاسْتِيَاءِ مِنَ السَّفْسَطَةِ الْمُذْهَبِيَّةِ الَّتِي جَلَبَتْهَا الرُّوحُ الْهِيلِينِيَّةِ إِلَى اللَّاهُوتِ الْمَسِيحِيِّ. أَمَّا الشَّرْقُ الَّذِي عُرِفَ بِحُبِّهِ لِلْأَفْكَارِ الْوَاضِحَةِ الْبَسِيطَةِ، فَقَدْ كَانَتِ الثَّقَافَةُ الْهِيلِينِيَّةِ وَبَالا عَلَيْهِ مِنَ الْوِجْهَةِ الدِّينِيَّةِ، لِأَنَّهَا أَحَالَتْ تَعَالِيمَ الْمَسِيحِ الْبَسِيطَةِ السَّامِيَةِ إِلَى عَقِيدَةٍ مَحْفُوفَةٍ بِمَذَاهِبَ عَوِيصَةٍ، مَلِيئَةٍ بِالشُّكُوكِ وَالشُّبُهَاتِ، فَأَدَّى ذَلِكَ إِلَى خَلْقِ شُعُورٍ مِنَ الْيَأْسِ، بَلْ زَعْزَعَ أُصُولَ الْعَقِيدَةِ الدِّينِيَّةِ ذَاتِهَا. فَلَمَّا أَهَلَّتْ أَنْبَاءُ الْوَحْيِ الْجَدِيدِ. لَمْ تَعُدْ تِلْكَ الْمَسِيحِيَّةُ الشَّرْقِيَّةُ الَّتِي اخْتَلَطَتْ بِالْغِشِّ وَالزَّيْفِ وَتَمَزَّقَتْ بِفِعْلِ الِانْقِسَامَاتِ الدَّاخِلِيَّةِ، وَتَزَعْزَعَتْ قَوَاعِدُهَا الْأَسَاسِيَّةُ، لَمْ تَعُدْ بَعْدَ ذَلِكَ قَادِرَةً عَلَى مُقَاوَمَةِ إِغْرَاءِ هَذَا الدِّينِ الْجَدِيدِ الَّذِي بَدَّدَ بِضَرْبَةٍ مِنْ ضَرَبَاتِهِ كُلَّ تِلْكَ الشُّكُوكَ التَّافِهَةَ، وَقَدَّمَ مَزَايَا جَلِيلَةً إِلَى جَانِبِ مَبَادِئِهِ الْوَاضِحَةِ الْبَسِيطَةِ الَّتِي

لَا تَقْبَلُ الْجَدَلَ.. وَحِينَئِذٍ تَرَكَ الشَّرْقَ الْمَسِيحَ وَارْتَمَى فِي أَحْضَانِ نَبِيِّ الْعَرَبِ ».

• أما البروفيسور "مونتيه إدوار - Montih Edwar" (١٨٥٦– ١٩٢٧م)، فقد قال: « إِنَّ الْإِسْلَامَ فِي جَوْهَرِهِ دِينٌ عَقْلَانِيٌّ بِأَوْسَعِ مَعَانِي الْكَلِمَةِ، إِنَّ لِدِينِ مُحَمَّدٍ كُلَّ الْعَلَامَاتِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ مَجْمُوعَةٌ مِنَ الْعَقَائِدِ قَامَتْ عَلَى أُسُسِ الْمَنْطِقِ وَالْعَقْلِ.. وَإِنَّ بَسَاطَةَ هَذِهِ التَّعَالِيمِ وَوُضُوحَهَا لَهِيَ عَلَى وَجْهِ التَّحْقِيقِ مِنْ أَظْهَرِ الْقُوَى الْفَعَّالَةِ فِي الدِّينِ وَفِي نَشَاطِ الدَّعْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ.. وَلَقَدْ حَفِظَ الْقُرْآنُ مَنْزِلَتَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَطْرَأَ عَلَيْهِ تَغْيِيرٌ أَوْ تَبْدِيلٌ، بِاعْتِبَارِهِ النُّقْطَةَ الْأَسَاسِيَّةَ الَّتِي بَدَأَتْ مِنْهَا تَعَالِيمُ هَذِهِ الْعَقِيدَةِ، وَقَدْ جَهَرَ الْقُرْآنُ دَائِمًا بِمَبْدَأ الْوَحْدَانِيَّةِ، فِي عَظَمَةٍ وَجَلَالٍ وَصَفَاءٍ لَا يَعْتَرِيهِ التَّحَوُّلُ، وَمِنَ الْعَسِيرِ أَنْ نَجِدَ فِي غَيْرِ الْإِسْلَامِ مَا يَفُوقُ تِلْكَ الْمَزَايَا.. وَلَقَدْ كَانَ مِنَ الْمُتَوَقَّعِ لِعَقِيدَةٍ مُحَدَّدَةٍ كُلَّ هَذَا التَّحْدِيدَ، خَالِيَةٍ كُلَّ الْخُلُوِّ مِنْ جَمِيعِ التَّعْقِيدَاتِ الْفَلْسَفِيَّةِ، ثُمَّ هِيَ تَبَعًا لِذَلِكَ فِي مُتَنَاوَلِ إِدْرَاكِ الشَّخْصِ الْعَادِيِّ، أَنْ تَمْتَلِكَ فِعْلًا قُوَّةً عَجِيبَةً لِاكْتِسَابِ طَرِيقِهَا إِلَى ضَمَائِرِ النَّاسِ ».

وَلِهَذَا رَجَحَتْ كِفَّةُ الْإِسْلَامِ، فَانْصَرَفَتْ إِلَيْهِ قُلُوبُ وَعُقُولُ النَّصَارَى الشَّرْقِيِّينَ، بَعْدَ أَنْ تَحَرَّرَتْ ضَمَائِرُهُمْ، بِالْفُتُوحَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ، مِنِ اضْطِهَادِ الْكَنِيسَةِ الرُّومَانِيَّةِ وَالدَّوْلَةِ الْبِيزَنْطِيَّةِ (١).

***

١) الإسلام والغرب / محمد عمارة ص (١٤٥) وبعدها- بتصرف- ط الشروق.

الادعاء الخامس :

الزعم بأن النَّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْسَ خَاتَمَ الأَنْبِيَاءِ

وللردِّ على ذلك نقول :

أولًا : قال تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾ (الأحزاب).

ويقول عزَّ وجلَّ: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ (المائدة: ٣).

وَيَقُولُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي، كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ، إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ، وَيَعْجَبُونَ لَهُ، وَيَقُولُونَ هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ؟ قَالَ: فَأَنَا اللَّبِنَةُ وَأَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ }(١).

وَقَوْلَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : { كَانَتْ بَنو إِسْرَائِيلَ تَسُوسُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ. كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ ، وَإِنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي... }(٢).

وَالْوَاقِعُ التَّارِيخِيُّ يُؤَكِّدُ خَتْمَ النُّبُوَّةِ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَخَتْمَ الرِّسَالَاتِ بِالْإِسْلَامِ فَإِنَّهُ لَمْ يَشْهَدْ بِأَنَّ اللهَ – عَزَّ وَجَلَّ – أَرْسَلَ فِي الْأَرْبَعَةَ عَشَرَ قَرْنًا الْمَاضِيَةِ رَسُولًا إِلَى قَوْمٍ مِنَ الْأَقْوَامِ ؛ لِأَنَّ مُحَمَّدًا – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – هُوَ الرَّسُولُ الْخَاتَمُ.

---

١) متفق عليه : رواه البخاري برقم (٣٥٣٥)، ومسلم برقم (٢٢٨٦).
٢) متفق عليه : رواه البخاري برقم (٣٤٥٥)، ومسلم برقم (١٨٤٢).

obeikandi.com

ثَانِيا: حِكْمَةُ خَتْمِ النُّبُوَّةِ :

ولِخَتْمِ النُّبُوَّةِ حِكَمٌ بَالِغَةٌ وَدِلَالَاتٌ يَعَدِّدُهَا د: مُحَمَّد أَحْمَد السَّيِّدُ الْمُسَيِّر ، وَأَهَمُّهَا:

١- كَانَ كُلُّ نَبِيٍّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَتَسْتَمِرُّ شَرِيعَتِهِ لِفَتْرَةٍ مُحَدَّدَةٍ حَتَّي يَأْتِيَ نَبِيٌّ آخَرُ يُجَدِّدُهَا أَوْ يَنْسَخُهَا. فَقَدِ اجْتَمَعَ إِبْرَاهِيمُ وَلُوطُ فِي زَمنٍ وَاحِدٍ وَفِي مَكَانَيْنِ مُتَجَاوِرَيْنِ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٞۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٦ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلۡكِتَٰبَ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَجۡرَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٢٧﴾ (العنكبوت).

٢- كَانَ كُلِّ نَبِيٍّ يُعَالِجُ قَضِيَّةً خَاصَّةً فِي مُجْتَمَعِهِ فِي إِطَارِ الْقَضِيَّةِ الْعَامَّةِ الَّتِي الْتَقَى عَلَيْهَا الْأَنْبِيَاءُ جَمِيعًا ، وَهِيَ قَضِيَّةُ التَّوْحِيدِ الْكُبْرَى.

أمثلة على ذلك :

• فَقَدْ تَمَيَّزَتْ رِسَالَةُ شُعَيْبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِمُعَالَجَةِ الْفَسَادِ الِاقْتِصَادِيِّ مَعَ الشِّرْكِ:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ وَلَا تَنقُصُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَۚ إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيۡرٖ وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ مُّحِيطٖ ٨٤ وَيَٰقَوۡمِ أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ٨٥ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ ٨٦﴾ (هود).

• وَتَمَيَّزَتْ رِسَالَةُ لُوط عَلَيْهِ السَّلَامُ بِمُعَالَجَةِ الْفَسَادِ الْأَخْلَاقِيِّ مَعَ الشِّرْكِ:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ (العنكبوت).

وَهَكَذَا كُلُّ نَبِيٍّ فِي قَوْمِهِ لَهُ رِسَالَةٌ خَاصَّةٌ، فَإِذَا جَاءَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيُعَالِجَ الْحَيَاةَ بِأَسْرِهَا، وَيُصْلِحَ الْمُجْتَمَعَ فِي كَافَّةِ جَوَانِبِهِ، وَيَقُودُ النَّاسَ إِلَى الَّتِي هِيَ أَقْوَمُ فِي الدِّينِ وَالدنيا – كَانَ لِخَتْمِ النُّبُوَّةِ بِهِ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ.

٣– أَيَّدَ اللهُ رُسُلَهُ بِالْمُعْجِزَاتِ تَأْكِيدًا لِصِدْقِ الْبَلَاغِ عَنْهُ عَزَّ وَجَلَّ، إِلَّا أَنَّ مُعْجِزَاتِ جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ السَّابِقِينَ كَانَتْ مُعْجِزَاتٍ حِسِّيَّةً ارْتَبَطَتْ بِزَمَانِ نَبِيِّهَا وَمَكَانِهِ وَشَخْصِهِ .

فَإِذَا جَاءَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ كَمُعْجِزَةٍ عَقْلِيَّةٍ لَا تَرْتَبِطُ بِزَمَانٍ وَلَا مَكَانٍ، وَلَا يَتَوَقَّفُ إِعْجَازُهُ عَلَى حَيَاةِ النَّبِيّ الَّذِي جَاءَ بِهِ، بَلْ يَظَلُّ هَذَا الْقُرْآنُ يَحْمِلُ دَلِيلَهُ مَعَهُ، يُنَاجِي الْعَقْلَ الْإِنْسَانِيَّ وَيُنَادِيهِ : ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ (البقرة). وَهُنَا تُصْبِحُ عَقِيدَةُ خَتْمِ النُّبُوَّةِ ضَرُورَةً عَقْلِيَّةً.

٤– إِنَّ مُعْجِزَةَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ انْقِلَابُ الْعَصَا حَيَّةً، وَرِسَالَتَهُ التَّوْرَاةُ، وَإِنَّ مُعْجِزَةَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ إِحْيَاءُ الْمَوْتَى، وَرِسَالَتَهُ الْإِنْجِيلُ، وَهَكَذَا كُلُّ نَبِيٍّ كَانَتْ لَهُ مُعْجِزَةٌ يَسْتَدِلُّ بِهَا عَلَى رِسَالَتِهِ، فَهُمَا شَيْئَانِ مُخْتَلِفَانِ.

فَإِذَا جَاءَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمُعْجِزَةِ وَالرِّسَالَةِ، وَهُمَا يَلْتَقِيَانِ عَلَى شَيْءٍ وَاحِدٍ

هُوَ الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ كَانَ ذَلِكَ دِلَالَةٌ كُبْرَى عَلَى خَتْمِ النُّبُوَّةِ بِهِ.

فَإِنَّ الْقُرْآنَ هُوَ مُعْجِزَةُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّتِي تَظَلُّ شَاهِدَةً عَلَى صِدْقِهِ، وَإِنَّ الْقُرْآنَ هُوَ الرِّسَالَةُ الَّتِي جَاهَدَ عَلَيْهَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا فِيهِ مِنْ عَقِيدَةٍ وَشَرِيعَةٍ، وَأَخْلَاقٍ وَقِيَمٍ تُرَبِّي الْإِنْسَانَ السَّوِيَّ، وَتَبْنِي الْمُجْتَمَعَ الْمِثَالِيَّ، وَتُشَيِّدُ الدَّوْلَةَ وَالْحَضَارَةَ فِي دُنْيَا النَّاسِ جِيلًا بَعْدَ جِيلٍ.

٥- إِنَّ أَتْبَاعَ الرِّسَالَاتِ السَّابِقَةِ حَرَّفُوا كُتُبَهُمْ الْمُنَزَّلَةَ، وَغَيَّرُوا مَعَالِمَ الْحَقِّ، وَطَمَسُوا حَقَائِقَ الْوَحْيِ، وَخَانُوا الْأَمَانَةَ وَمَا اسْتُحْفِظُوا عَلَيْهِ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ **فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾** ﴾ (البقرة).

فَإِذَا جَاءَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْكِتَابِ الْمُهَيْمِنِ الْخَالِدِ الَّذِي يَتَوَلَّى اللهُ حِفْظَهُ وَبَقَاءَهُ: ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾** ﴾ (الحجر). كَانَ خَتْمُ النُّبُوَّةِ مُوَائِمًا لِمُقْتَضَى الْحَالِ، وَمُلَائِمًا لِلسُّنَّةِ الطَّبِيعِيَّةِ، حَيْثُ بَقِيَ الْكِتَابُ فَانْقَطَعَتْ النبوة.

٦- إِنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ فَرِيضَةٌ مُحْكَمَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ بِقَدْرِ عِلْمِهِ وَفِي حُدُودِ مَسْئُولِيَّتِهِ .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ **وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾** ﴾ (التوبة).

وَإِنَّ تَبْلِيغَ دَعْوَةِ الْإِسْلَامِ وَتَحْدِيدَ الْوَلَاءِ لَهَا يَقَعُ عَلَى عَاتِقِ الْعُلَمَاءِ الْعَامِلِينَ، وَالْأُمَرَاءِ الْعَادِلِينَ الَّذِينَ يَحْفَظُونَ لِلْأُمَّةِ أُصُولَ الدِّينِ وَمَعَالِمَ الْإِسْلَامِ.

فَعَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **{ لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ حَتَّي يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ }**(١).

وَعَنْ مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: **{ لاَ يَزَالُ مِنْ أُمَّتِي أُمَّةٌ قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللَّهِ، لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، وَلاَ مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ }**(٢).

وَقَدْ فَسَّرَ الْبُخَارِيُّ هَذِهِ الطَّائِفَةَ بِأَنَّهُمْ أَهْلُ الْعِلْمِ، وَفَسَّرَهَا الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ بِأَنَّهَا جَمَاعَةٌ مُتَعَدِّدَةٌ مِنْ أَنْوَاعِ الْمُؤْمِنِينَ مَا بَيْنَ شُجَاعٍ وَبَصِيرٍ بِالْحَرْبِ، وَفَقِيهٍ وَمُحَدِّثٍ وَمُفَسِّرٍ، وَقَائِمٍ بِالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَزَاهِدٍ وَعَابِدٍ. وَقَالَ: لَا يَلْزَمُ أَنْ يَكُونُوا مُجْتَمِعِينَ فِي بَلَدٍ وَاحِدٍ بَلْ يَجُوزُ اجْتِمَاعُهُمْ فِي قُطْرٍ وَاحِدٍ وَافْتِرَاقُهُمْ فِي أَقْطَارِ الْأَرْضِ.

وَجَاءَ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: **{ إِنَّ اللهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا }**(٣).

وَقَدِ اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي شَرْحِ هَذَا الْحَدِيثِ مِنْ وُجُوهٍ. وَأَيًّا مَا كَانَ الْأَمْرُ فَالْمُرَادُ هُوَ

---

١) متفق عليه : رواه البخاري برقم (٣٦٤٠)، ومسلم برقم (١٩٢١).
٢) رواه البخاري برقم (٣٦٤١).
٣) رواه أبو داود برقم (٤٢٩١) ، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع برقم (١٨٧٤).

obeikandi.com

اسْتِمْرَارُ الدَّعْوَةِ إِلَى هَذَا الدِّينِ الْقَيِّمِ، وَتَحَمُّلُ الْمُؤْمِنِينَ الصَّادِقِينَ لِتَبِعَاتِ هَذِهِ الدَّعْوَةِ.

وَمِمَّا لَا يَخْفَى أَنَّ الْبَعْثَ لَيْسَ مُرَادًا بِهِ بَعْثُ النُّبُوَّةِ، فَإِنَّ النُّبُوَّةَ قَدِ انْقَطَعَتْ، وَإِنَّمَا هُوَ بَعْثُ إِيجَادٍ وَتَدْبِيرٍ ؛ تَحْقِيقًا لِقَوْلِهِ تَعَالَى :﴿ **هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ٩** ﴾ (الصف)

وَنَرَى الْيَوْمَ مَنْ يُنْكِرُ خَتْمَ الرِّسَالَاتِ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِثْلَ (الْقَادِيَانِيَّةِ) وَهِيَ فِرْقَةٌ فِي الْهِنْدِ تَقُولُ بِنُبُوَّةِ رَجُلٍ مِنْ مَدِينَةِ قَادِيَانُ اسْمُهُ (غُلَام أَحْمَد) ادَّعَى أَنَّ اللهَ يُوحِي إِلَيْهِ بِكُلِّ الطُّرُقِ الَّتِي كَانَ يُوحِي بِهَا إِلَى أَنْبِيَائِهِ، وَأَنَّهُ مَسِيحُ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ كَمَا كَانَ عِيسَى مَسِيحَ الْأُمَّةِ الْمُوسَوِيَّةِ، وَأَنَّ رِسَالَتَهُ عَامَّةٌ لِلنَّاسِ كَافَّةً.

وَلَمَّا تَبَيَّنَ لِبَعْضِ أَتْبَاعِ الْقَادِيَانِيَّةِ أَنَّ إِصْرَارَهَا عَلَى الْقَوْلِ بِنُبُوَّةِ غُلام أَحْمَد لَنْ تَجِدَ لَهَا سَبِيلًا إِلَى عُقُولِ النَّاسِ، وَسَيَنْتَهِي أَمْرُهَا لَا مَحَالَةَ، رَأَوْا أَنْ يَحْذِفُوا مِنْ تَعَالِيمِهِمْ أَمْرَ هَذِهِ النُّبُوَّةِ وَأَنْ يَقْتَصِرُوا عَلَى الْقَوْلِ بِأَنَّ (غُلَامَ أَحْمد) كَانَ مُصْلِحًا لَا نَبِيًّا ، فَانْقَسَمَتْ الْقَادِيَانِيَّةُ إِلَى طَائِفَتَيْنِ:

فَطَائِفَةٌ **(قَادِيَانِيَة)** تَقُولُ بِنُبُوَّةِ (غُلَام أحمد)، وَطَائِفَة **(لَاهُور)** رَفَضُوا التَّسْلِيمَ بِهَذَا، فَكَانَ عَمَلُهُمْ هَذَا دَلِيلًا مَحْسُوسًا عَلَى فَسَادِ مَذْهَبِهِمْ؛ فَإِنَّ الْقَادِيَانِيَّةَ إِذَا رُفِعَ مِنْهَا الْقَوْلُ بِنُبُوَّةِ (غُلَام أَحْمَد) لَمْ يَبْقَ هُنَاكَ مَعْنَى : لِأَنْ يَنْتَسِبَ إِلَيْهَا مُنْتَسِب.

وَإِذَا كَانَتْ هَذِهِ الطَّائِفَةُ تَتَظَاهَرُ بِالْقَوْلِ بِأَنَّ زَعِيمَهَا كَانَ مُصْلِحًا فَحَسْبُ هَرَبًا مِنْ مُصَادَمَةِ الْعُقُولِ، وَإِعْوَازًا مِنَ الدَّلِيلِ الْمُقْنِعِ، وَكَانَتْ مَعَ هَذَا تُبْطِنُ الْعَقِيدَةَ بِنُبُوَّتِهِ، فَلَا شَكَّ أَنَّ ذَلِكَ يُعْتَبَرُ مِنْ أَقْوَى الْأَدِلَّةِ عَلَى وَهَنِ أَسَاسِهَا.

***

الادعاء السادس:

الزعم بأن النَّبيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كان انتهازيًّا؟!

يَزْعُمُ بَعْضُ الْمُغْرِضِينَ أَنَّ النَّبيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كَانَ انْتِهَازِيًّا وُصُولِيًّا، إِذْ تَزَوَّجَ السَّيِّدَةَ خَدِيجَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا، لِتَحْقِيقِ مَصَالِحِهِ الشَّخْصِيَّةِ زَاعِمِينَ أَنَّهُ تَزَوَّجَهَا قَسْرًا دُونَ رِضى أَهْلِهَا، وَأَنَّهُ كَانَ فَقِيرًا مَغْمُورًا، فَرَأَى أَنْ يَتَزَوَّجَهَا وَهُوَ فِي مُقْتَبَلِ عُمْرِهِ لِلْاسْتِفَادَةِ مِنْ مَالِهَا، وَلِيَضْمَنَ بِذَلِكَ وَجَاهَةً وَاحْتِرَامًا فِي الْمُجْتَمَعِ.. إلخ.. هَادِفِينَ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ الطَّعْنَ فِي مَبَادِئِهِ وَقِيَمِهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

وللرد على هذا الافتراء ، نقول:

أوَّلا: لَقَدْ تَزَوَّجَ النَّبيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ خَدِيجَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا بِنَاءً عَلَى رَغْبَتِهَا بَعْدَمَا رَجَعَ بِتِجَارَتِهَا مِنَ الشَّامِ، وَقَصَّ غُلَامُهَا مَيْسَرَةُ عَلَيْهَا مَا قَدْ رَآهُ مِنْ كَرَامَاتٍ لِلنَّبِيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وَمَا سَمِعَهُ مِنَ الرَّاهِبِ (نِسْطورا)، وَبَعْدَمَا رَأَتْ خَدِيجَةُ مَالَهَا قَدْ تَضَاعَفَ أُعْجِبَتْ بِالنَّبيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وَبِأَمَانَتِهِ، وَأَرَادَتِ الزَّوَاجَ مِنْهُ بَعْدَمَا ضَنَّتْ بِنَفْسِهَا عَلَى وُجَهَاءِ قُرَيْشٍ، وَلَكِنْ كَيْفَ ذَلِكَ؟

وَتَحْكِي لَنَا خَادِمَتُهَا نَفِيسَةُ بِنْتُ مُنَبِّه فتقول: « كَانَتْ خَدِيجَةُ امْرَأَةً حَازِمَةً جَلْدَةً شَرِيفَةً، مَعَ مَا أَرَادَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَا مِنَ الْكَرَامَةِ وَالْخَيْرِ، وَهِيَ يَوْمَئِذٍ أَوْسَطُ قُرَيْشٍ نَسَبًا، وَأَعْظَمُهُمْ شَرَفًا، وَأَكْثَرُهُمْ مَالًا، وَكُلُّ قَوْمِهَا كَانَ حَرِيصًا عَلَى نِكَاحِهَا لَوْ قَدِرَ عَلَى ذَلِكَ، وَقَدْ طَلَبُوهَا وَبَذَلُوا لَهَا الْأَمْوَالَ، فَأَرْسَلَتْنِي دَسِيسًا إِلَى مُحَمَّدٍ بَعْدَ أَنْ رَجَعَ فِي عِيرِهَا مِنَ الشَّامِ، فَقُلْتُ: يَا مُحَمَّدُ، مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَتَزَوَّجَ؟ فَقَالَ: **{ مَا بِيَدِي مَا أَتَزَوَّجُ بِهِ }**. قَالَتْ: فَإِنْ كُفِيتَ ذَلِكَ، وَدُعِيتَ إِلَى الْمَالِ، وَالْجَمَالِ، وَالشَّرَفِ،

وَالْكَفَاءَةِ، أَلَا تُجِيبُ؟ قَالَ: {فَمَنْ هِيَ؟} قَالَتْ: قُلْتُ: خَدِيجَةُ. قَالَ: { وَكَيْفَ لِي بِذَلِكَ؟ } قَالَتْ: قُلْتُ: عَلَيَّ. قَالَ: { فَأَنَا أَفْعَلُ }، فَأَعْلَمَتْ خَدِيجَةُ أَهْلَهَا، فَوَجَدَتْ مِنْهُم قَبُولا وَتَرْحِيبًا، وَحَدَّدَتْ لِلنَّبِيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وَأَهْلِهِ مَوْعِدًا يَحْضُرُونَ فِيهِ، وَذَكَرَ النَّبِيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ذَلِكَ لِأَعْمَامِهِ، فَخَرَجَ مَعَهُ عَمَّاهُ: أَبُو طَالِبٍ وَحَمْزَةُ، حَتَّى جَاءُوا بَيْتَ خَدِيجَةَ، فَوَجَدُوا عِنْدَهَا عَمَّهَا عَمْرو بْن أَسَدٍ حَاضِرًا، فَخَطَبَهَا مِنْهُ أَبُو طَالِبٍ لِابْنِ أَخِيهِ مُحَمَّدٍ ، فَوَافَقَ وَرَحَّبَ »[1].

هَذَا هُوَ حَدِيثُ ذَلِكَ الزَّوَاجِ، لَا تَجِدُ فِيهِ دَلِيلا عَلَى وُصُولِيَّةٍ، أَوِ انْتِهَازِيَّةٍ مِمَّا يَزْعُمُونَ.

ثانيًا : وَفَاءُ النَّبِيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لِلسَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا حَتَّى بَعْدَ وَفَاتِهَا :

وَلَوْ كَانَ تَزَوَّجُ النَّبِيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ مِنْهَا لِغَرَضِ الْحُصُولِ عَلَى الْمَالِ أَوِ الْوَجَاهَةِ الِاجْتِمَاعِيَّةِ لَظَهَرَ ذَلِكَ فِي سُلُوكِهِ وَنَشَاطِهِ بَعْدَ الزَّوَاجِ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ مِنْ أَمْرِهِ بَعْدَ زَوَاجِهَا مَا يَدُلُّ عَلَى إِسْرَافِهِ فِي مَالِهَا، كَمَا يَفْعَلُ النَّفْعِيُّونَ الَّذِينَ يَتَزَوَّجُونَ الغَنِيَّات.

وَإِنْ كَانَ لِلْوُصُولِيَّةِ مَوْضِعٌ فِي حَيَاةِ خَدِيجَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا فَلَنْ يَكُونَ لَهَا مَوْضِعٌ،وَقَدْ مَاتَتْ، فَإِذَا بِهِ يَحْزَنُ عَلَيْهَا حُزْنًا شَدِيدًا، وَإِذَا حُزْنُهُ يَطُولُ فِي حِينِ اشْتَدَّ عَلَيْهِ اضْطِهَادُ الْقُرَشِيِّينَ وَإِيذَاؤُهُمْ لِشَخْصِهِ، وَقَدْ زَادَ مِنْ جَرْأَتِهِمْ عَلَيْهِ مَوْتُ عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ فِي تِلْكَ السَّنَةِ أيضًا .

---

١) انظر في ذلك: السيرة الحلبية (١/ ١٩٩) بتصرف ، ومقدِّمة دلائل النبوة للبيهقي ص (١٩).

وَفِي ذَلِكَ الْحِينِ أَدْرَكَ الْمُؤْمِنُونَ الْقَلَائِلُ أَنَّ نَبِيَّهُمْ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فِي حَاجَةٍ مَاسَّةٍ إِلَى مَنْ يُؤْنِسُ وَحْشَتَهُ، وَيُخَفِّفُ عَلَيْهِ أَعْبَاءَ الْجِهَادِ، وَمَتَاعِبَ الِاضْطِهَادِ، وَنَدَبَ الْمُؤْمِنُونَ لِمُفَاتَحَتِهِ فِي ذَلِكَ خَوْلَةَ بِنْتَ حَكِيمٍ، فَتَلَطَّفَتْ فِي ذَلِكَ، ثُمَّ عَرَضَتْ عَلَيْهِ أَنْ يَتَزَوَّجَ مِنْ سَوْدَةَ بِنْتِ زَمْعَةَ، وَهِيَ امْرَأَةٌ مُتَقَدِّمَةٌ فِي السِّنِّ، لَيْسَ لَهَا جَمَالُ خَدِيجَةَ وَلَا مَالَ لَهَا عَلَى الْإِطْلَاقِ، وَلَا جَاهَ، وَإِنَّمَا هِيَ أَرْمَلَةٌ طَيِّبَةُ الْقَلْبِ، وَلَمْ يَكُنْ لِلرِّجَالِ فِيهَا مَأْرَبٌ .

ثُمَّ أَيَّةُ مُصَانَعَةٍ هَذِهِ الَّتِي تَجْعَلُ الزَّوْجَ يَفِي لِزَوْجَتِهِ بَعْدَ مَمَاتِهَا بِسِنِينَ وَسِنِينَ، فَلَا يَذْكُرُهَا إِلَّا وَرَقَّ قَلْبُهُ، وَلَهَجَ لِسَانُهُ بِالتَّرَحُّمِ وَالثَّنَاءِ ؟!

وَهَلْ يَنْسَى الْمُنْصِفُ مَا حَدَثَ بَعْدَ مَوْقِعَةِ بَدْرٍ، حِيْنَ وَقَعَ أَبُو الْعَاصِ بْنُ الرَّبِيعِ زَوْجُ ابْنَتِهِ زَيْنَبَ فِي الْأَسْرِ، وَكَانَ يَوْمَئِذٍ عَلَى دِينِ أَبِيهِ مُسْتَمْسِكًا بِالْكُفْرِ، وَطُولِبَ أَبُو الْعَاص بِالْفِدْيَةِ كَمَا طُولِبَ سَائِرُ الْأَسْرَى، وَبَعَثَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ مِنْ مَكَّةَ بِالْفِدْيَةِ، وَفِيهَا قِلَادَةٌ كَانَتْ لِأُمِّهَا خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا، فَإِذَا بِالْقَائِدِ الظَّافِرِ يَرِقُّ لِمَرْأَى الْقِلَادَةِ أَيَّمَا رِقَّةٍ، وَكَأَنَّمَا تُمَثَّلُ لَهُ جِيدَ صَاحِبَتِهَا الرَّاحِلَةِ، وَكَمِ الْتَمَسَ مَعَهَا مِنْ عَزَاءٍ، وَكَمْ نَعِمَ مَعَهَا بِالرَّاحَةِ مِنْ وَعْثَاءِ الْجِهَادِ، وَعَنَاءِ الدَّعْوَةِ، وَمَا يَلْقَاهُ مِنْ صُدُودٍ وَجَفْوَةٍ وَقَسْوَةٍ، فَالْتَفَتَ إِلَى أَصْحَابِهِ يُنَاشِدُهُمْ أَنْ يَرُدُّوا الْقِلَادَةَ إِلَى زَيْنَبَ، وَيُفَرِّجُوا عَنْ زَوْجِهَا الْمَأْسُورِ؛ إِكْرَاما لِتِلْكَ الذِّكْرَى الْعَزِيزَةِ .

وَعَنْ عَائِشَةُ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا قَالَتْ: « مَا غِرْتُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ نِسَاءِ النَّبِيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، مَا غِرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ، وَمَا رَأَيْتُهَا، وَلَكِنْ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يُكْثِرُ ذِكْرَهَا، وَرُبَّمَا ذَبَحَ الشَّاةَ ثُمَّ يُقَطِّعُهَا أَعْضَاءً، ثُمَّ يَبْعَثُهَا فِي صَدَائِقِ خَدِيجَةَ، فَرُبَّمَا قُلْتُ لَهُ: كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ

فِي الدُّنْيَا امْرَأَةٌ إِلَّا خَدِيجَةُ، فَيَقُولُ: { إِنَّهَا كَانَتْ، وَكَانَتْ، وَكَانَ لِي مِنْهَا وَلَدٌ }»[١].

وعند أحمد: قالت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: « كَانَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا ذَكَرَ خَدِيجَةَ أَثْنَى عَلَيْهَا، فَأَحْسَنَ الثَّنَاءَ، قَالَتْ: فَغِرْتُ يَوْمًا، فَقُلْتُ: مَا أَكْثَرَ مَا تَذْكُرُهَا حَمْرَاءَ الشِّدْقِ، قَدْ أَبْدَلَكَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَا خَيْرًا مِنْهَا، قَالَ: { مَا أَبْدَلَنِي اللهُ عَزَّ وَجَلَّ خَيْرًا مِنْهَا، قَدْ آمَنَتْ بِي إِذْ كَفَرَ بِي النَّاسُ، وَصَدَّقَتْنِي إِذْ كَذَّبَنِي النَّاسُ، وَوَاسَتْنِي بِمَالِهَا إِذْ حَرَمَنِي النَّاسُ، وَرَزَقَنِي اللهُ عَزَّ وَجَلَّ وَلَدَهَا إِذْ حَرَمَنِي أَوْلَادَ النِّسَاءِ }»[٢].

فَمَنْ ذَا الَّذِي كَانَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَانِعُهُ وَهُوَ يَفِي لِخَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا هَذَا الْوَفَاءَ الْجَمِيلَ، الَّذِي يَسْتَحِقُّ أَنْ يَكُونَ مَضْرِبَ الْأَمْثَالِ لِسَائِرِ الْأَزْوَاجِ رِجَالًا وَنِسَاءً.

***

١) متفق عليه : رواه البخاري برقم (٣٨١٨) ، وانظر رواية مسلم برقم (٢٤٣٥) .
٢) رواه أحمد برقم (٢٤٨٦٤).

obeikandl.com

الادِّعاء السابع :

الزَّعْمُ بِأَنَّ الْقُرْآنَ لَيْسَ وَحْيًا إِلَهِيًّا وَإِنَّمَا هُوَ مِنْ تَأْلِيفِ مُحَمَّدٍ كَيْ يَسْتَمِيلَ قُلُوبَ النَّاسِ إِلَيْهِ. وَتَتِمَّ لَهُ السَّيْطَرَةُ عَلَيْهِمْ.

وَلِلرَّدِّ عَلَى هَذَا الْكَذِبِ أَقُولُ:

مِنَ الثَّابِتِ تَارِيخِيًّا أَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كَانَ أُمِّيًّا لَا يَقْرَأُ وَلَا يَكْتُبُ، وَالْقُرْآنُ كِتَابٌ مُعْجِزٌ فِي نَظْمِهِ وَبَيَانِهِ، فَهُوَ مُعْجِزَةٌ لُغَوِيَّةٌ وَأَدَبِيَّةٌ لَيْسَ لَهَا سَوَابِقُ مُشَابِهَةٌ، وَفِي تِلْكَ الْحَقِيقَةِ دِلَالَةٌ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ عَمَلِهِ، وَإِنَّمَا هُوَ وَحْيٌ مُنَزَّلٌ.

وَالْقُرْآنُ يَحْتَوِي عَلَى نِظَامٍ تَشْرِيعِيٍّ مُتَكَامِلٍ يَشْمَلُ الْعَقِيدَةَ وَالشَّعَائِرَ وَالْأَخْلَاقَ وَغَيْرَ ذَلِكَ، وَمِثْلُ هَذَا النِّظَامِ التَّشْرِيعِيِّ الْمُتَكَامِلِ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَصْدُرَ مِنْ إِنْسَانٍ فِي بِيئَةٍ بَدَوِيَّةٍ كَالْبِيئَةِ الَّتِي كَانَ يَعِيشُ فِيهَا مُحَمَّدٌ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

وَيَمْتَلِئُ الْقُرْآنُ كَذَلِكَ بِالْإِشَارَاتِ إِلَى حَقَائِقَ عِلْمِيَّةٍ لَمْ يَتَوَصَّلْ إِلَيْهَا الْعِلْمُ إِلَّا فِي الْعَصْرِ الْحَدِيثِ، وَيَسْتَحِيلُ وُجُودُهَا تَمَامًا فِي الْبِيئَةِ الْبَدَوِيَّةِ الَّتِي نَشَأَ فِيهَا مُحَمَّدٌ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، كَالْإِشَارَةِ إِلَى تَطَوُّرِ الْجَنِينِ فِي بَطْنِ أُمِّهِ، وَبَصْمَةِ الْبَنَانِ، وَكَيْفَ لَا تَتَطَابَقُ بَيْنَ النَّاسِ عَلَى كَثْرَتِهِمْ، وَكَالْإِشَارَةِ إِلَى حَرَكَاتِ الْأَفْلَاكِ، وَأَصْلِ نَشْأَةِ الْكَوْنِ.

وَقَدْ عَرَضَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ لِقَصَصِ الْأَنْبِيَاءِ السَّابِقِينَ، وَأَحْوَالِ الْأُمَمِ الَّتِي أُرْسِلُوا إِلَيْهَا، وَالْمَصِيرِ الَّذِي وَاجَهَهُمْ.

وَاشْتَمَلَ الْقُرْآنُ كَذَلِكَ عَلَى الْإِخْبَارِ بِبَعْضِ الْحَوَادِثِ الْمُسْتَقْبَلِيَّةِ الَّتِي تَحَقَّقَتْ فِيمَا بَعْدُ، مِثْلُ الْإِخْبَارِ بِمَوْتِ أَبِي لَهَبٍ وَالْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ كَافِرَيْنِ، وَقَدْ حَدَثَ بِالْفِعْلِ: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ

نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبۡلٞ مِّن مَّسَدِۭ ﴿٥﴾ ﴾ (المسد)، ﴿ سَأُصۡلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ ﴾ (المدثر)

وَالْقُرْآنُ نَفْسُه يَتَحَدَّى الْعَرَبَ - وَكَانُوا أَهْلَ الْبَلَاغَةِ- أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِهِ، أَوْ بِمِثْلِ عَشْرِ سُوَرٍ مِنْ مِثْلِهِ، أَوْ حَتَّى بِسُورَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ مِثْلِهِ، وَكَانَتِ النَّتِيجَةُ أَنَّ أَحَدًا لَمْ يَسْتَطِعْ الْإِتْيَانَ بعَمَلٍ مُشَابِهٍ لِلْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَذَلِكَ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ وُجُودِ الْمُعَارِضِينَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْعِدُهُمْ الْإِتْيَانَ بِهَذَا الشَّبِيهِ، وَيُعْتَبَرُ اسْتِمْرَارُ التَّحَدِّي بِهَذَا الشَّكْلِ مِنْ أَبْرَزِ الْبَرَاهِينِ عَلَى أَنْ الْقُرْآنَ كِتَابٌ إِلَهِيٌّ، أَسْمَى مِنْ أَنْ يُؤَلِّفَهُ بَشَرٌ.

***

obeikandl.com

الادعاء الثامن :

الزَّعْمُ أنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ مَرِيضًا نَفْسِيًّا لِهَذَا ادَّعَى مَا ادَّعَى مِنَ النُّبُوَّةِ وَالرِّسَالَةِ.

قَالَ جولد تسيهر: « وَفِى خِلَالِ النِّصْفِ الْأَوَّلِ مِنْ حَيَاتِهِ اضْطَرَّتْهُ مَشَاغِلُهُ إِلَى الِاتِّصَالِ بِأَوْسَاطٍ اسْتَقَى مِنْهَا أَفْكَارا أَخَذَ يَجْتَرِيهَا فِى قَرَارَةِ نَفْسِهِ، وَهُوَ مُنْطَوٍ فِي تَأَمُّلَاتِهِ أَثْنَاءَ عُزْلَتِهِ، وَلَيْلِ إِدْرَاكِهِ وَشُعُورِه لِلتَّأَمُّلَاتِ الْمُجَرَّدَةِ، وَالَّتِي يُلْمَحُ فِيهَا أَثَرُ حَالَتِهِ الْمَرَضِيَّةِ، نَرَاهُ يَنْسَاقُ ضِدَّ العَقْلِيَّةِ الدِّينِيَّةِ وَالْأَخْلَاقِيَّةِ لِقَوْمِهِ الْأَقْرَبِينَ وَالْأَبْعَدِينَ ».

ونحن نسألُ هؤلاءِ: وَمَا حَقِيقَةُ هَذِهِ الْأَمْرَاضِ، وَمَا نَوْعِيَّتُهَا ؟

وَيُجِيبُ عَلَى ذَلِكَ عَدَدٌ مِنَ الْمُسْتَشْرِقِينَ مَعَ تَبَايُنِ تَشْخِيصَاتِهِمْ :

فَقَدْ زَعَمَ شبرنجر، وجوستاف فايل، وَغَيْرُهُمْ أَنَّهُ كَانَ مُصَابًا بِحَالَاتٍ مِنَ الصَّرَعِ، يَغِيبُ فِيهَا عَنِ النَّاسِ وَعَمَّا حَوْلَهُ، وَيَظَلُّ مُلْقًى عَلَى أَثَرِهَا بَيْنَ الْجِبَالِ لِمُدَّةٍ طَوِيلَةٍ، يُسْمَعُ لَهُ عَلَى إِثْرِهَا غَطِيطٌ كَغَطِيطِ النَّائِمِ، وَيَتَصَبَّبُ عَرَقًا، وَيَثْقُلُ جِسْمُهُ، وَتَعْتَرِيهِ التَّشَنُّجَاتُ، وَتَخْرُجُ مِنْهُ الرَّغْوَةُ، فَإِذَا أَفَاقَ ذَكَرَ أَنَّهُ أُوحِيَ إِلَيْهِ، وَتَلَا عَلَى أَتْبَاعِهِ مَا يَزْعُمُ أَنَّه وَحْيٌ مِنَ الله.

وَبَعْضُهُمُ اعْتَبَرَهَا حَالَةَ هِسْتِيرِيا، وَتَهَيُّجٍ عَصَبِيٍّ، يَظْهَرُ عَلَيْهِ أَثَرُها في مِزاجِهِ العَصَبِيِّ القَلِقِ، ونفسُه كثيرةُ العواصِفِ بشكلٍ غامِضٍ، حتَّى وَصَلَ بِهِ الأمرُ أن لا يُفَرِّقَ بَيْنَ تَعاقُبِ الليلِ والنَّهارِ، وقَدْ هَزَلَ عَلَى إِثْرِهَا جِسْمُهُ، وَشَحبَ لونُهُ، وخارَتْ قُواهُ.

وَيَذْهَبُ بَعْضُهُمْ إِلَى أَنَّهُ نَوْعٌ مِنَ الْهَوَسِ قَائِلًا: « وَنَرَى مُحَمَّدا الثَّاقِبَ النَّظَرِ مِنَ النَّاحِيَةِ الْعِلْمِيَّةِ مِنْ ذَوِي الْهَوَسِ، كَمَا هُوَ شَأْنُ أَكْثَرِ مُؤَسِّسِي الدِّيَانَاتِ ».

والـرَّدُّ عَلَى هَذَا الزَّعْمِ مِنْ عِدَّةِ وُجُوهٍ :

أَوَّلُهَا: أَنَّ الْمُسْتَشْرِقِينَ هُنَا فِيمَا يَزْعُمُونَ كَالْبَبَّغَاوَاتِ يُرَدِّدُونَ شُبْهَةَ إِخْوَانِهِمْ أَعْدَاءِ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ، الَّذِينَ جَعَلُوا مَا يَحْصُلُ لِأَنْبِيَاءِ اللهِ مِثْلَ الَّذِي يَحْصُلُ لِلْمجَانِينِ وّالسَّحَرَةِ ، قَالَ تَعَالَى: ﴿**كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ ۝٥٢ أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ طَاغُونَ ۝٥٣**﴾ (الذاريات).

وَهِيَ عَيْنُ الْفِرْيَةِ الَّتِي رَمَتْ بِهَا قُرَيْشٌ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، فَبَرَّأَهُ اللهُ مِمَّا قَالُوا، بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿ **فَذَكِّرۡ فَمَآ أَنتَ بِنِعۡمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٖ وَلَا مَجۡنُونٍ ۝٢٩** ﴾ (الطور).

أَرَأَيْتَ كَيْفَ يُرَدِّدُ الْمُسْتَشْرِقُونَ شُبْهَةً عَفَا عَنْهَا الدَّهْرُ، وَطَوَتْهَا السِّنُونَ، وَبَيَّنَ اللهُ فَسَادَهَا قَبْلَ خَمْسَةَ عَشَرَ قَرْنًا مِنَ الزَّمَنِ، ثُمَّ جَاءُوا يَلُوكُونَهَا وَيُدَنْدِنُونَ بِهَا؛ تَشْوِيهًا لِلْإِسْلَامِ، وَتَشْكِيكًا فِي عِصْمَةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ فِي عَقْلِهِ وَبَدَنِهِ (١).

ثَانِيهَا: إِجْمَاعُ الْأُمَّةِ عَلَى عِصْمَةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وَسَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلَهُ مِنْ سَائِرِ الْأَمْرَاضِ الْمُنَفِّرَةِ، فَرَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وكَافَّةُ الرُّسُلِ قَبْلَهُ، قَدِ اشْتُهِرُوا بِالْعَقْلِ وَالنَّبَاهَةِ وَالْفِطْنَةِ قَبْلَ النُّبُوَّةِ وَبَعْدَهَا.

---

١) **ردُّ شبهات حول عصمة النَّبيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ في ضوء القرآن والسنة، د/ عماد الشربيني، ط١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٠م.**

لَقَدْ كَانَ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أَكْمَلَ الرِّجَالِ عَقْلًا، وَأَشَدَّهُمْ فِطْنَةً، وَأَصْوَبَهُمْ قَوْلًا، وَأَحْكَمَهُمْ فِعْلًا، وَقَدْ تَحَدَّى اللهُ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ عَرَفُوه وَعَايَشُوهُ وَخَبِرُوا حَالَهُ أَنْ يُثْبِتُوا عَلَيْهِ جُنُونًا أَوِ اخْتِلَالَ عَقْلٍ، وذلك في قوله تعالى: ﴿ **قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾** ﴾ (سبأ) .

فَفِي قَوْلِهِ: ﴿ **مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ** ﴾ أَيْ جُنُونٍ. مستأنَفٌ، مُنَبِّهٌ لهم على أن ما عرفوه من رجاحة عقله كافٍ في ترجيح صدقه؛ والتعبير عنه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بـ ﴿**بِصَاحِبِكُمْ**﴾ للإيماءِ أن حالَهُ معروفٌ مشهورٌ بينَهُم، لأنَّه نشأَ بينَ أظهُرِهِمْ معروفًا بِقُوَّةِ العَقْلِ، ورَزانَةِ الحِلْمِ، وسَدَادِ القَوْلِ والفِعْلِ.

ثالثها: أَنَّ ثَمَّةَ فَرْقًا وَاضِحًا بَيْنَ صُوَرِ الْوَحْيِ الَّذِي كَانَ يَتَلَقَّاهُ النَّبِيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وَبَيْنَ أَعْرَاضِ مَرَضِ الصَّرَعِ الَّذِي زَعَمَهُ الْمُفْتَرُونَ.

فَأَمَّا أَعْرَاضُ مَرَضِ الصَّرَعِ، فَكَثِيرَةٌ، مِنهَا: أَنْ يَرَى الْمَرِيضُ شَبَحًا، وَيَسْمَعَ صَوْتًا، أَوْ يَشَمَّ رَائِحَةً، وَيُعْقِبُ ذَلِكَ وُقُوعُ الْمَرِيضِ صَارِخًا عَلَى الْأَرْضِ، وَفَاقِدًا وَعْيَهُ، ثُمَّ تَتَمَلَّكُهُ رَعْدَةٌ تَشَنُّجِيَّةٌ تَتَصَلَّبُ فِيهَا الْعَضَلَاتُ، وَقَدْ يَتَوَقَّفُ فِيهَا التَّنَفُّسُ مُؤَقَّتًا ... وَيُعْقِبُ النَّوْبَةَ خَوَرٌ فِي الْقُوَى، وَاسْتِغْرَاقٌ فِي النَّوْمِ يَصْحُو مِنْهُ الْمَرِيضُ خَالِيَ الذِّهْنِ مِنْ تَذَكُّرِ مَا حَدَثَ لَهُ ... الخ.

فَإِذَا كَانَ هَذَا هُوَ الثَّابِتُ عِلْمِيًّا، فَهُوَ بِخِلَافِ أَمْرِ رَسُولِ الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فَلَا يَظْهَرُ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِمَّا ذُكِرَ مِنْ أَعْرَاضِ هَذَا الْمَرَضِ عِنْدَ نُزُولِ الْوَحْيِ عَلَيْهِ، بَلْ يَظَلُّ فِي تَمَامِ وَعْيِهِ، وَكَامِلِ قُوَّتِهِ الْعَقْلِيَّةِ، قَبْلَ وَأَثْنَاءَ وَبَعْدَ الْوَحْيِ، كَمَا قَالَ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ،

لَمَّا سَأَلَهُ الحَارِثُ بْنُ هِشَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يَا رَسُولَ الله، كَيْفَ يَأْتِيكَ الوَحْيُ؟ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **{ أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلْصَلَةِ الجَرَسِ، وَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَيَّ، فَيُفْصَمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْهُ مَا قَالَ، وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِيَ المَلَكُ رَجُلًا فَيُكَلِّمُنِي فَأَعِي مَا يَقُولُ }**، قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: « وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الوَحْيُ فِي اليَوْمِ الشَّدِيدِ البَرْدِ، فَيَفْصِمُ عَنْهُ وَإِنَّ جَبِينَهُ لَيَتَفَصَّدُ عَرَقًا »(١).

وقد كان جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ يأتي إلى النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في صورة الرجل فيحادثه أمام جمع من الحضور وهم يشاهدون ذلك ، كما ثبت في حديث جبريل المشهور الذي سأل فيه النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الإيمان والإسلام والإحسان(٢). وكما جاء في حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا من إتيان جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، في صورة الصحابي الجليل دحية الكلبي (٣).

لَقَدْ عَاشَ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طِيلَةَ حَيَاتِهِ فِي صِحَّةٍ نَفْسِيَّةٍ وَعَصَبِيَّةٍ وَعَقْلِيَّةٍ دَائِمَةٍ، لَمْ يَطْرَأْ عَلَيْهِ أَيُّ خَلَلٍ فِي عَقْلِهِ أَوْ أَعْصَابِهِ فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ، بَلْ كَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِشَهَادَةِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ وَالتَّارِيخِ عَظِيمَ الصَّبْرِ، وَاسِعَ الْحِلْمِ، فَسِيحَ الصَّدْرِ ، حَتَّى إِنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسِعَ النَّاسَ جَمِيعًا بِبَسْطِهِ وَخُلُقِهِ.

وَكَانَ شُجَاعا مِقْدَاما، سَلِيمَ الْجِسْمِ، صَحِيحَ الْبَدَنِ، حَتَّى قيلَ: إِنَّهُ صَارَعَ رَكَانَةَ

---

١) متفق عليه: رواه البخاري برقم (٢)، ومسلم برقم (٢٣٣٣).
٢) رواه مسلم برقم (٨).
٣) رواه النسائي برقم (٤٩٩١)، وصحَّحه الألباني في صحيح سنن النسائي.

الْمَشْهُورَ بِشَجَاعَتِهِ فَصَرَعَهُ (١).

وكان يثبت في الميدان حين يفِرُّ الشُّجعانُ، ويفزع الخلقُ، ويشتدُّ الأمرُ، ويقولُ كما حدث في غزوة حنين، وقد انقشع عنه أصحابه: **{ أَنَا النَّبيّ لاَ كَذِبْ، أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبْ }**(٢)، ويقول: **{ إِلَيَّ أَيُّهَا النَّاسُ، هَلُمُّوا إِلَيَّ أَنَا رَسُولُ الله، أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الله }**(٣)، ولا يزال كذلك حتى ينصره الله في المعركة.

وبالجملة: كان كمالُ عقلِه وخلقِهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، مَضْرِبَ الأمثالِ؛ لعصمةِ الله له ، على ما سبق تفصيله.

ولكل عاقل أن يتساءل: هل يتَّفقُ هذا المرضُ وما هو معروف عن النَّبيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ من أنه كان أمَّةً وحدَهُ، في أخلاقِهِ، وثباتِهِ، وحلمِهِ، وسلامةِ جِسمِهِ وقوةِ بنائِهِ ؟.

ثم كيف يتَّفِقُ ذلك الداءُ العُضالُ الذي أعيا الأطباءَ، وما انتُدِبَ له رسولُ الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ من تكوينِ نفوسٍ أبيَّةٍ، وتربيتِها على أسمَى نواميسِ الهدايةِ وقوانينِ الأخلاقِ، وقواعدِ النهضةِ والرقيِّ، مع أنها أمَّةٌ صحراوِيَّةُ النفوسِ، صَخريَّةُ الطِّباعِ ؟!.

---

١) رواه أبو داود برقم (٤٠٧٨)، والترمذي برقم (١٧٨٤)، و قال: حديث غريب، وإسناده ليس بالقائم.

٢) متفق عليه: رواه البخاري برقم (٢٨٦٤)، ومسلم برقم (١٧٧٦).

٣) رواه أحمد برقم (١٥٠٢٧)، وإسناده حسن.

أضف إلى ذلك أنه نجح في هذه المحاولة المعجِزةِ، إلى درجةٍ جعلت تلك الأمةَ، بعد قرنٍ واحدٍ من الزمانِ، هي سيِّدَةُ الأممِ، وصاحبةُ العلمِ، وربَّةُ السَّيْفِ والقَلَمِ.

فهلِ المريضُ المتهوِّسُ الذي لا يصلُحُ لقيادةِ نفسِهِ يتسنَّى لَهُ أن يقومَ بهذِهِ القيادةِ العالميَّةِ الفائِقةِ، ثم ينجَحُ فيها هذا النجاحَ المعجِزَ المدهِشَ؟ وصدَقَ القائلُ.

قَدْ تُنْكِرُ العَيْنُ ضَوْءَ الشَّمْسِ مِنْ رَمَدٍ ... وَيُنْكِرُ الفَمُ طَعْمَ الماءِ منْ سَقَمِ.

يقول المستشرق (ماكس مايرهوف): « أراد بعضهم أن يرى في محمد رجلًا مصابًا بمرض عصبي أو بداء الصرع، ولكن تاريخ حياته من أوله إلى آخره، ليس فيه شيء يدل على هذا كما أن ما قام به فيما بعد من التشريع والإدارة يناقض هذا القول ».

رابعُها: لو كان النَّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مصابًا بمرض الصَّرع، لذكر ذلك أصحابه الذين لم يتركوا صغيرة ولا كبيرة إلا نقلوها عنه، أو ذكره أعداؤه في ذلك العصر، هؤلاء الذين كانوا يتربَّصون بالنَّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الدوائر، ويودُّون أن يظفروا منه ولو بشيء نذر يسير يُعَيِّرُونَهُ به.

ألم يقولوا ما حكاه القرآن الكريم عنهم : ﴿ **وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾** ﴾ (الزخرف).

فأقصى ما عابوه فيه أنه فقير، ومثلُه في نظرهم لا يحِقُّ لَهُ أن يكون نبيًّا.

فلو كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مريضًا بالصَّرع كما زعم هؤلاء الحاقدون، لوجد أعداؤه في ذلك فرصة سانحة للطعن عليه، لكن ما حدث ممن خلُصت ضمائرُهم بعض

الوقت، وكانوا مع أنفسهم صادقين قبل ما يطرأ عليهم من إرهاب فكريٍّ من أمثال الوليد بن المغيرة، والنضر بن الحارث الذي نفى في إشارة بليغة عن رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وما جاء به السحرَ، والكهانةَ، والشِّعرَ، والجنونَ، حيث إنهم يعلمون علم اليقين حقيقة هذه الألفاظ، واعترف النضر بن الحارث بإقرار صناديد قريش، أن رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وما جاء به، بعيدان كل البعد عن حقيقة الألفاظ السابقة(١).

وهنا يحقُّ لنا أن نتساءل: إذا لم يذكر لنا التاريخُ أن النَّبيَّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أصيب بهذا النوع من الأمراض المنفِّرة؛ فليأتنا أعداء الإسلام بما يكذِّب ذلك؟ ولكن أنَّى لهم ذلك ! اللهم إلا ما كان من هؤلاء الحاقدين الذين زعموا هذا الزعم بناءً على تَصَوّرهم للحالة التي كانت تعتريه عند نزول الوحي عليه، وهى حالة واحدة من حالات متعدِّدة كان يأتيه عليها الوحي كما علمتَ، وبينها وبين ما يُصَوِّروه عنها بُعْدُ المشرِقَين.

وَنَتَسَاءَلُ أيضًا: هَلِ الَّذِينَ آمَنُوا بِرَسُولِ الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ مُنْذُ خَمْسَةَ عَشَرَ قَرْنًا، وَاتَّبَعُوا الدِّينَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مِنْ قَادَةِ الْفِكْرِ عَلَى امْتِدَادِ الْعُصُورِ-كُلُّهُمْ أَغْبِيَاءُ مَغْرُورُونَ، لَمْ يُمَيِّزُوا بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَالصِّدْقِ وَالْكَذِبِ، وَالصِّحَّةِ وَالْمَرَضِ ؟!

خَامِسُهَا: ثُمَّ مَا رَأْيُ هَؤُلَاءِ الطَّاعِنِينَ وَفِيهِمْ مَنْ يَنْتَمِي إِلَى بَعْضِ الْأَدْيَانِ فِي

---

١) انظر ما رواه الحاكم في مستدركه برقم (٣٨٧٢) من حديث ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، وقال: حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه، وما رواه البيهقي في شعب الإيمان برقم (١٣٣).

أَنَّهُمْ لَا يَنَالُونَ مِنْ نُبُوَّةِ وَعِصْمَةِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وَحْدَهُ؛ وَإِنَّمَا يَنَالُونَ مِنْ جَمِيعِ أَنْبِيَاءِ اللهِ وَرُسُلِهِ الَّذِين كَانَتْ لَهُمْ كُتُبٌ أَوْ صُحُفٌ، أُوحِيَ بِهَا لَهُمْ مِنْ عِنْدِ اللهِ سُبْحَانَهُ.

فَهَلْ تَطِيبُ نُفُوسُ الْمُقِرِّينَ بِالْأَدْيَانِ مِنْهُمْ أَنْ يُخَرِّبُوا بُيُوتَهُمْ قَبْل أَنْ يُخَرِّبُوا بُيُوتَ غَيْرِهِمْ؟ فَمَا رَأْيُهُمْ فِيمَا جَاءَ فِي كُتُبِ الْعَهْدِ الْقَدِيمِ وَالْجَدِيدِ، مِنْ إِيحَاءَاتٍ وَنُبُوءَاتٍ؟.

وَهَلْ يَقُولُونَ فِي وَحْيِ نَبِيَّيِ اللهِ مُوسَى وَعِيسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ مَا يَقُولُونَ فِي وَحْيِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ؟.

إِنَّ الرَّسُولَ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، لَيْسَ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ فِي بَابِ الْوَحْيِ، إِنَّهُ أُوحِيَ إِلَيْهِ كَمَا أُوحِيَ إِلَيْهِمْ، وَصَدَقَ الْحَقُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، حَيْثُ يَقُولُ: ﴿ **إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ** ﴾(النساء).

اللَّهُمَّ إِنَّ هَذَا الطَّعْنَ لَا يَقُولُ بِهِ إِلَّا أَحَدُ رَجُلَيْنِ: إِمَّا مُحَرِّفٌ، أَوْ مُخَرِّبٌ يُرِيدُ هَدْمَ الْأَدْيَانِ(١)

فلا نبيُّنا صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ولا أحدٌ من إخوانه من الأنبياء أصِيب بمثل هذه الأمراض المنفِّرة، لعِصمةِ ربِّهم لهم، وإنما المَرْضَى – حقيقة – هم أعداؤهم في كل زمان ومكان.

***

١) السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، د محمد أبو شهبة، (١/ ٢٧٨، ٢٧٩).

الادعاء التاسع [١]

أنَّ النَّبيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يُقِرُّ العُبُودِيَّةَ ويُرَغِّبَ فِي مُلْكِ اليَمِين

وَلِلرَّدِّ عَلَى هَذَا الادِّعاء أَقُولُ:

الْحَقِيقَةُ الَّتِي لَا جِدَالَ فِيهَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يُعْتَبَرُ الْمُحَرِّرَ الْأَوَّلَ لِلْعَبِيدِ. وَقَبْلَ الْحَدِيثِ عَنْ جُهْدِهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فِي تَحْرِيرِ الْعَبِيدِ لَا بُدَّ أَنْ نَعْرِفَ مَدَى تَرَسُّخِ هَذَا الْأَمْرِ فِي الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَفِي الْعَالَمِ قَبْلَ مَبْعَثِهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ؛ لِنَعْلَمَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مِنَ الْمُمْكِنِ أَبَدًا أَنْ يُصْدِرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَانُونًا مُفَاجِئًا يَمْنَعُ بِهِ شَيْئًا انْتَشَرَ لِهَذِهِ الدَّرَجَةِ ، وَلِعِدَّةِ قُرُونٍ.

فَفِي الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ: مَا فَتِئَتِ الْحَرْبُ تَشْتَعِلُ بَيْنَ حِينٍ وَآخَرَ بَيْنَ الْقَبَائِلِ الْعَرَبِيَّةِ بِدَافِعِ الْعَصَبِيَّةِ وَالْقَبَلِيَّةِ، وَمِمَّا لَا شَكَّ فِيهِ أَنَّهُ كَانَ لِهَذِهِ الْحُرُوبِ الْمُسْتَمِرَّةِ نَتَائِجُ وَبِيلَةٌ عَلَى الْفَرِيقِ الْمُنْهَزِمِ؛ وَذَلِكَ لِمَا يَتَرَتَّبُ عَلَى الْهَزِيمَةِ مِنْ سَبْيِ النِّسَاءِ وَالذُّرِّيَّةِ وَالرِّجَالِ إِنْ قَدِرَ عَلَيْهِمْ، وَقَدْ يَتِمُّ قَتْلُهُمْ، أَوْ اسْتِرْقَاقُهُمْ وَبَيْعُهُمْ عَبِيدًا، وَلَمْ يَكُنْ هُنَاكَ مَا يُسَمَّى بِالْمَنِّ عَلَيْهِمْ أَوْ إِطْلَاقِ سَرَاحِهِمْ دُونَ مُقَابِلٍ، وَكَانَتِ الْحُرُوبُ تُمَثِّلُ أَحَدَ الرَّوَافِدِ الْأَسَاسِيَّةِ لِتِجَارَةِ الْعَبِيدِ الَّتِي كَانَتْ إِحْدَى دِعَامَاتِ الِاقْتِصَادِ فِي الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ.

أَمَّا الدَّوْلَةُ الرُّومَانِيَّةُ فَلَمْ يَكُنِ الْعَبِيدُ فِيهَا بِأَفْضَلَ حَالٍ لِدَرَجَةِ أَنَّ الْفَيْلَسُوفَ أَفْلَاطُونَ نَفْسَهُ صَاحِبَ فِكْرَةِ الْمَدِينَةِ الْفَاضِلَةِ كَانَ يَرَى أَنَّهُ يَجِبُ أَلَّا يُعْطَى الْعَبِيدُ

---

١) انظر "أسوة للعاملين" ص (٣٤٠)، وما بعدها.

حَقَّ الْمُوَاطَنَةِ، أَمَّا الدَّوْلَةُ الْفَارِسِيَّةُ فَكَانَ الْمُجْتَمَعُ مُقَسَّمًا إِلَى سَبْعِ طَبَقَاتٍ أَدْنَاهُمْ عَامَّةُ الشَّعْبِ، وَهُمْ أَكْثَرُ مِنْ ٩٠٪ مِنْ مَجْمُوعِ سُكَّانِ فَارِس، وَمِنْهُمُ الْعُمَّالُ وَالْفَلَّاحونَ وَالْجُنُودُ وَالْعَبِيدُ، وَهَؤُلَاءِ لَيْسَ لَهُمْ أَيَّةُ حُقُوقٍ، لِدَرَجَةِ أَنَّهُمْ كَانُوا يُرْبَطُونَ فِي الْمَعَارِكِ بِالسَّلَاسِلِ؛ كَمَا فَعَلُوا فِي مَوْقِعَةِ الأُبُلَّة[1] أولى المواقع الإسلامية في فارس بقيادة خالد بن الوليد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

• بيانُ هَديه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في التعامل مع قضية العُبودية:

هَكَذَا كَانَتْ مُشْكِلَةُ الْعُبُودِيَّةِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ، وَعِنْدَمَا جَاءَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِرِسَالَتِهِ الْخَاتِمَةِ وَضَعَ مَبْدَأَيْنِ مُهِمَّيْنِ لِإِلْغَاءِ الْعُبودِيَّةِ وَالرِّقِّ، هُمَا: تَضْيِيقُ الرَّوَافِدِ الَّتِي كَانَتْ تُمِدُّهُ وَتُغَذِّيهِ وَتَضْمَنُ لَهُ الْبَقَاءَ، وَتَوْسِيعُ الْمَنَافِذِ الَّتِي تُؤَدِّي إِلَى الْعِتْقِ وَالتَّحَرُّرِ.

وَكَانَتْ سِيرَتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْرَ تَطْبِيقٍ لِهَذَيْنِ الْمَبْدَأَيْنِ؛ حَيْثُ بَدَأَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَثِّ الْمُجْتَمَعِ الْإِسْلَامِيِّ النَّاشِئِ عَلَى تَحْرِيرِ الْعَبِيدِ وَاعِدًا إِيَّاهُمْ بِالْجَزَاءِ الْعَظِيمِ فِي الْآخِرَةِ.

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **{ مَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً مُسْلِمَةً ،**

---

١) الأُبُلَّة: بلدة على شاطئ دجلة، وقد سار إليها خالدُ بن الوليد، والتقى بالفرس في موقعة تسمى (ذات السلاسل) سنة ١٢هـ ، وانتصر فيها المسلمون، وكان عددهم (١٨) ألف مجاهد مع سبعين ألف فارس. معجم البلدان (١/ ٤٣).

أَعْتَقَ اللهُ بِكُلِّ عُضْوٍ مِنْهُ عُضْوًا مِنَ النَّارِ، حَتَّى فَرْجَهُ بِفَرْجِهِ }(١).

كَمَا حَثَّ النَّبِيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَعَلَى عِتْقِ الْعَبِيدِ تَكْفِيرًا عَنْ أَيِّ ذَنْبٍ يَأْتِيهِ الْإِنْسَانُ؛ وَذَلِكَ لِلْعَمَلِ عَلَى تَحْرِيرِ أَكْبَرِ عَدَدٍ مُمْكِنٍ مِنْهُمْ، فَالذُّنُوبُ لَا تَنْقَطِعُ، وَكُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ، فَيَقُولُ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **{ أَيُّمَا امْرِئٍ مُسْلِمٍ أَعْتَقَ امْرَأً مُسْلِمًا كَانَ فِكَاكَهُ مِنَ النَّارِ، يُجْزِئُ كُلُّ عُضْوٍ مِنْهُ عُضْوًا مِنْهُ، وَأَيُّمَا امْرِئٍ مُسْلِمٍ أَعْتَقَ امْرَأَتَيْنِ مُسْلِمَتَيْنِ كَانَتَا فِكَاكَهُ مِنَ النَّارِ؛ يُجْزِئُ كُلُّ عُضْوٍ مِنْهُمَا عُضْوًا مِنْهُ، وَأَيُّمَا امْرَأَةٍ مُسْلِمَةٍ أَعْتَقَتِ امْرَأَةً مُسْلِمَةً كَانَتْ فِكَاكَهَا مِنَ النَّارِ؛ يُجْزِئُ كُلُّ عُضْوٍ مِنْهَا عُضْوًا مِنْهَا }**(٢).

وَكَانَ الرَّسُولُ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَالْقُدْوَةَ فِي ذَلِكَ؛ حِينَ أَعْتَقَ مَنْ عِنْدَهِ مِنَ الْعَبِيدِ، بَلْ كَانَتْ وَصَايَاهُ الْإِنْسَانِيَّةُ بِالْعَبِيدِ مِفْتَاحًا مِنْ مَفَاتِيحِ تَأْهِيلِ الْمُجْتَمَعِ لِتَقَبُّلِ تَحْرِيرِهِمْ وَعِتْقِهِمْ:

- فَحَضَّ أَوَّلًا صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عَلَى الْمُعَامَلَةِ الْحَسَنَةِ لَهُمْ، حَتَّى لَوْ كَانَ ذَلِكَ فِي الْأَلْفَاظِ وَالتَّعْبِيرَاتِ، فَتَرَاهُ يَقُولُ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **{ لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ عَبْدِي وَأَمَتِي، كُلُّكُمْ عَبِيدُ اللهِ، وَكُلُّ نِسَائِكُمْ إِمَاءُ اللهِ، وَلَكِنْ لِيَقُلْ غُلَامِي وَجَارِيَتِي، وَفَتَايَ وَفَتَاتِي }**(٣).

- بَلْ أَوْجَبَ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إِطْعَامَهُمْ وَإِلْبَاسَهُمْ مِنْ نَفْسِ طَعَامِ وَلِبَاسِ أَهْلِ

---

١) متفق عليه : رواه البخاري برقم (٦٧١٥)، ورواه مسلم برقم (١٥٠٩).
٢) رواه أحمد برقم (١٨٠٥٩)، والترمذي برقم (١٥٤٧) واللفظ له، وقال: حسن صحيح غريب.
٣) رواه مسلم برقم (٢٢٤٩).

الْبَيْتِ، وَأَلَّا يُكَلِّفُوا مَا لَا يُطِيقُونَ، فَيَرْوِي جَابِرُ بْنُ عَبْدِ الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَيَقُولُ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُوصِي بِالْمَمْلُوكِينَ خَيْرًا، وَيَقُولُ: **{ أَطْعِمُوهُمْ مِمَّا تَأْكُلُونَ، وَأَلْبِسُوهُمْ مِمَّا تَلْبَسُونَ }**(١). وغير ذلك من الحقوق التي جَعَلَت منَ العبدِ كائنًا إنسانيًّا له كرامة، لا يجوز الاعتداء عليها.

- ثُمَّ تَرْتَقِي وَصَايَاهُ لِتَنْقُلَ الْمُجْتَمَعَ إِلَى مَرْحَلَةِ التَّحَرُّرِ الْوَاقِعِيِّ، فَجَعَلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عُقُوبَةَ تَعْذِيبِهِمْ وَضَرْبِهِم العِتقَ والتَّحرُّرَ.

عَنِ ابْن عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه دَعَا بِغُلَامٍ لَهُ فَرَأَى بِظَهْرِهِ أَثَرًا، فَقَالَ لَهُ: أَوْجَعْتُكَ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَأَنْتَ عَتِيقٌ، قَالَ: ثُمَّ أَخَذَ شَيْئًا مِنَ الْأَرْضِ، فَقَالَ: مَا لِي فِيهِ مِنَ الْأَجْرِ مَا يَزِنُ هَذَا، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: **{ مَنْ ضَرَبَ غُلَامًا لَهُ حَدًّا لَمْ يَأْتِهِ، أَوْ لَطَمَهُ، فَإِنَّ كَفَّارَتَهُ أَنْ يُعْتِقَهُ }**(٢).

- وجعل صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أيضًا التلفظ بالعِتقِ من العبارات التي لا تحتمل إلا التنفيذ الفوريَّ، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **{ثلاث جدهن جد وهزلهن جد: الطلاق والنكاح والعتاق }**(٣).

---

١) رواه مسلم برقم (٣٠٠٧).

٢) رواه مسلم برقم (١٦٥٧).

٣) مسند الحارث (٥٠٣)، رواه البيهقي عن عمر بن الخطاب موقوفًا ٧/ ٣٤١، وذكر ابن الملقن أنه بهذا اللفظ غريب، ابن الملقن: خلاصة البدر المنير (٢/ ٢٢٠)، وقال ابن حجر العسقلاني: باللفظ المذكور... وهو رواية عبد الرحمن بن حبيب بن أردك وهو مختلف فيه، قال النسائي: منكر الحديث، ووثقه غيره، فهو على هذا حسن. انظر: التلخيص الحبير (٣/ ٢٠٩- ٢١٠).

- كما جعله الشرع وسيلة من وسائل التكفير عن الخطايا والآثام، مثل وجوب العتق بسب القتل الخطأ، وكذلك الحِنث في اليمين، والظِّهار، والإفطار في رمضان عمدًا، وغير ذلك.

- ثم جاءت سيرته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خير تطبيق لهدي الشَّرع :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: هَلَكْتُ، يَا رَسُولَ الله، قَالَ: **{وَمَا أَهْلَكَكَ؟}** قَالَ: وَقَعْتُ عَلَى امْرَأَتِي فِي رَمَضَانَ، قَالَ: **{هَلْ تَجِدُ مَا تُعْتِقُ رَقَبَةً؟}** قَالَ: لَا، قَالَ: **{فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَصُومَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ؟}** قَالَ: لَا، قَالَ: **{فَهَلْ تَجِدُ مَا تُطْعِمُ سِتِّينَ مِسْكِينًا؟}** قَالَ: لَا، قَالَ: ثُمَّ جَلَسَ، فَأُتِيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَرَقٍ فِيهِ تَمْرٌ، فَقَالَ: **{تَصَدَّقْ بِهَذَا}** قَالَ: أَفْقَرَ مِنَّا؟ فَمَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا أَهْلُ بَيْتٍ أَحْوَجُ إِلَيْهِ مِنَّا، فَضَحِكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَدَتْ أَنْيَابُهُ، ثُمَّ قَالَ: **{ اذْهَبْ فَأَطْعِمْهُ أَهْلَكَ }**(١).

- بل وأكثر من ذلك؛ حيث جعل عتقَهم من مصارف الزكاة؛ لقول الله تعالى:

﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ ﴾ (التوبة).

- ومَكّنَ الإسلامُ العبيَد من استعادة حريتهم بالمكاتبة، وهي أن يُمنَحَ العبدُ

---

١) متفق عليه: رواه البخاري برقم (١٩٣٦)، ورواه مسلم برقم (١١١١) واللفظ له.

حرِّيتَهُ مقابل مبلغ من المال يتفق عليه مع سيده، وأوجب أيضًا إعانته؛ لأن الأصل هو الحرية، أما العبودية فطارئة.

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ﴾ (النور:٣٣).

فكان الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ القدوة في ذلك؛ حيث أدَّى عن جُوَيْرِيَةَ بِنْتِ الحارِثِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا ما كُوتِبَتْ عليه وتزوَّجها، فلما سمع المسلمون بزواجه منها أعتقوا ما بأيديهم من السَّبيِ، وقالوا: أصهار رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فأعتق بسببها مائة أهل بيت من بني المصطلق (١).

- ورغّبَ النَّبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في عتق الأمَةِ وتزوّجِها، **فقال** صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: { **أَيُّمَا رَجُلٍ كَانَتْ عِنْدَهُ وَلِيدَةٌ، فَعَلَّمَهَا فَأَحْسَنَ تَعْلِيمَهَا، وَأَدَّبَهَا فَأَحْسَنَ تَأْدِيبَهَا، ثُمَّ أَعْتَقَهَا وَتَزَوَّجَهَا فَلَهُ أَجْرَانِ...**} (٢).

لذلك نجده صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يُعتِق السيدة صفيةَ بنتَ حُيَيِّ بنِ أخطبَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا، ويجعل عتقَها صداقَها (٣).

---

١) انظر ما رواه أبو داود برقم (٣٩٣١)، وما رواه أحمد برقم (٢٦٣٦٥)، وما رواه ابن حبان في صحيحه برقم (٤٠٥٤)، وحسَّنه الألباني في صحيح أبي داود، وانظر: السيرة النبوية لابن كثير (٣/ ٣٠٣).

٢) رواه البخاري برقم (٥٠٨٣).

٣) انظر ما رواه البخاري برقم (٥٠٨٦)، وما رواه مسلم برقم (١٣٦٥).

- **أَمَّا الِاسْتِرْقَاقُ** عَنْ طَرِيقِ الْحَرْبِ الَّتِي يُثِيرَهَا أَعْدَاءُ الإسلام فقد ضيَّقهُ النَّبيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، فوضع نظامًا للأسرى لم يعرف من قبل إلا في الإسلام؛ فاشترط لاعتبار الأسرى أرقَّاء أن يضرب الإمام عليهم الرقَّ، وقبل أن يضرِب الإمام عليهم الرقَّ يمكن أن تتمَّ نحوهم التصرُّفات التالية:

(**تبادل الأسرى**) وذلك بردِّ عدد من الأسرى مقابل عدد من أسرى المسلمين، أو (**قبول الفداء**) وذلك بإطلاقهم نظير مقابل مادي أو أدبي كما فعل صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ في أسرى (بدر)، فأطلق بعضهم مقابل مال، وجعل إطلاق بعضهم نظير تعليمهم لبعض المسلمين القراءة والكتابة.

ولقد كان الاسترقاق في الحرب عرفًا عامًا في كل الحروب، فكان الأعداء يسترقُّون المسلمين إذا وقعوا في أسرهم، كما حدث ذلك مثلًا مع زيد بن الدِّثِنَّة وكذلك مع خُبَيْبِ بنِ عَدِيٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا [١]، ولو لم يقابل الإسلام أعداءه بمثل ما يفعلونه لاجترءوا عليه، ومع ذلك فالإسلام يقبل أن تتفق كل الأطراف المتصارعة على عدم الاسترقاق، فلا يفعله في نظير ألا يفعلوه هم كذلك.

وهكذا يتَّضح لنا حكمة الإسلام في توازنه حيثُ ضَيَّق منافذ الرقّ، ووسّع منافذَ التحرير بما يناسب الواقع من تدرُّج وأحكام.

***

١) انظر قصتهما بحادثة الرجيع مع بني لحيان من هذيل: رواها البخاري برقم (٤٠٨٦)، والسيرة النبوية لابن كثير (٢/ ١٣٣).

الادعاء العاشر

الزعم أن محمدًا ﷺ اقتبس وحيَه من اليهودية والنصرانية

لقد زعم المستشرقون أن الوحي انبثق في الدرجة الأولى عن اليهودية والنصرانية، ولكن محمدًا ﷺ كيَّفه تكييفًا بارعًا وفقًا لمتطلبات شعبه الدينية. ويشرح لنا (جولد تسيهر) هذا الافتراء فيقول: « فتبشير النَّبيّ ليس إلا مزيجًا منتخبًا من معارف وآراء دينية، عرفها أو استقاها بسبب اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية وغيرها، التي تأثر بها تأثُّرًا عميقًا، لقد تأثَّر بهذه الأفكار تأثُّرًا وصل إلى أعماق نفسه، وأدركها بإيحاء قوة التأثيرات الخارجية، فصارت عقيدة انطوى عليها قلبه، كما صار يعتبِر هذه التعاليم وحيًا إلهيًّا، فأصبح بإخلاص على يقين بأنه أداة لهذا الوحي ».

وقد وصل الأمر ببعضهم، أن زعموا أن الإسلام بكامله بدعة نصرانية أكثر منه دينًا جديدًا.

ولم يُخْفِ (جولد تسيهر) قوله في أن النَّبيَّ ﷺ قد تتلمذ على رهبان النصارى مثل ورقة بن نوفل، وبحيرا، ونسطورا، وصهيب الرومي، وسلمان الفارسي المسيحي الأصل، وأحبار اليهود مثل عبد الله بن سلام ، الذين كانوا أساتذة له.

ولقد حاول المستشرقون الرجوع في كثير من شعائر الإسلام إلى اليهودية أو النصرانية أو الاثنين معا.

قال بروكلمان: « وتأثرت اتجاهات النَّبيّ الدينية في الأيام الأولى من مقامه في المدينة، بالصلة التي كانت بينه وبين اليهود ... فشرع صوم العاشوراء، وهو اليوم

العاشر من المحرم، على غرار الصوم اليهودي في يوم الكفار الذي يقع عندهم في العاشر من شهر تشري، وبينما كان المؤمنون في مكة لا يصلُّون إلا مرتين في اليوم، أدخل في المدينة على غرار اليهودية أيضًا، صلاة ثالثة عند الظهر... كذلك جعل يوم الجمعة يوم صلاة عامة على غرار السبت اليهودي... ».

وللردِّ على هذه الافتراءات أقول :

أولا: أين هذه الرحلات التي يتكلم عنها جولدستيهر، وبروكلمان، ومن شايعهما، والتي التقى فيها النَّبيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بأحبار اليهود، ورهبان النصارى، وأخذ عنهم؟ ومتى كانت؟ وأين تم هذا اللقاء؟ وكم مدَّة قضاها ليتلقَّى تلك الدروس حتى يهضِمَها ويستوعِبَها؟ ومن هم الذين أخذ عنهم؟ وماذا أخذ؟.

أسئلة يعجَز المستشرقون عن إجابتها، لأنها لا إجابة لها إلا في عالم الخيال.

ثانيًا: إن ما زعموه بأنه من الممكن أن يكون رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ تلقف هذا الذي جاء به من بحيرا ونسطورا الراهبين، زعمٌ باطل. وذلك لأن المعروف الثابت تاريخيًّا أن النَّبيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، لم يلق (بحيرا)[1] هذا إلا مرة واحدة، وهي المرة الأولى التي سافر فيها إلى الشام، وكان معه عمه أبو طالب، وكان عمره صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، إذ ذاك لا يتعدَّى اثني عشر عامًا، ولا يُعقَل أن يكون سيدنا محمد صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قد أخذ عنه، وهو في هذه السِّنِّ شيئًا.

---

١) لم يرد اسم الراهب (بحيرا) إلا في روايتين ضعيفتين. أما الرواية الصحيحة فلم تذكر اسم هذا الراهب.

وأنَّى لبحيرا وما حواه الوحي الإلهي قرآنًا وسنة، من علوم وأخبار ماضية ومستقبله ؟ هذا لو فرضنا أنه يمكن أن يكون قد أخذ عنه شيئًا.

ثالثًا: إنَّ ما زعموه من أن محمدًا صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، أخذ الوحيَ من ورقةَ بنِ نوفل هو أيضًا باطل كسابقه، وفى الرواية نفسها التي التقى فيها رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بورقة ما يبيِّن بطلان مزاعم المستشرقين، وتهافت أقوالهم، وفسادها. وذلك في النقاط التالية:

أ- تبين الرواية أن ورقة قد تنصَّر في الجاهلية، ولكن المحدِّثين والمؤرِّخين استقصَوا كل ما عرف عنه مما صح سنده، ومما لم يصح، فلم يعثروا على رواية تبين أنه كان داعية إلى النصرانية.

ب- لم ينقل أن النَّبيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قد لقي (ورقة) قبل هذا اللقاء أو رآه.

ج- لَقَدْ تَمَّ هَذَا اللِّقَاءُ بَعْدَ مَجِيءِ مَلَكِ الْوَحْيِ فِي الْغَارِ، وَنُزولِ صَدْرِ سُورَةِ (اقْرَأْ)، وَقَدْ حَضَرَتْ هَذَا اللِّقَاءَ خَدِيجَةُ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا، وَقَدْ آمَنَتْ بِنُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بَعْدَ ذَلِكَ، فَلَوْ كَانَ هُنَالِكَ تَعْلُمٌ وَتَلَقٍّ مَا غَابَ ذَلِكَ عَنْ بَالِهَا أَبَدًا، وَلَكَانَ صَارِفًا لَهَا عَنْ الْإِيمَانِ بِهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

د- إِنَّ مَوْقِفَ (وَرَقَةَ) عَلَى مَا جَاءَ فِي هَذَا اللِّقَاءِ، كَانَ مَوْقِفَ الْمُسْتَطْلِعِ الْمُسْتَخْبِرِ لَا مَوْقِفَ الْمُعَلِّمِ، فَلَمَّا أَخْبَرَهُ النَّبِيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، خَبَرَ مَا رَأَى، كَانَ مَوْقِفُهُ مَوْقِفَ الْمُبَشِّرِ الْمُصَدِّقِ الْمُؤْمِنِ، الْمُتَطَوِّعِ لِمُنَاصَرَةِ الْحَقِّ، الْمُؤَيِّدِ لِلنَّبِيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فِيمَا نَزَلَ عَلَيْهِ مِنَ الْوَحْيِ قائلًا: « هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَّلَ اللهُ عَلَى مُوسَى، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ ، فَقَالَ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **{أَوَ مُخْرِجِيَّ**

هُمْ }، قَالَ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا »(١).

هـ- لَمْ تَذْكُرِ الرِّوَايَاتُ أَنَّهُ أَلْقَى إِلَى النَّبِيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ دَرْسًا أَوْ عِظَةً فِي أَيِّ جُزْءٍ مِنْ جُزْئِيَّاتِ الْإِسْلَامِ، كَمَا لَمْ يَثْبُتْ أَنَّهُ كَانَ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يَتَرَدَّدُ عَلَيْهِ لِتَلَقِّي تِلْكَ الدُّرُوسِ، وَالَّذِي يُفْهَمُ مِنْ كَلِمَتِهِ الْمُخْتَصَرَةِ السَّابِقَةِ، أَنَهُ كَانَ يَتَمَنَّى أَنْ يَبْقَى حَتَّى يُصْبِحَ نَاصِرًا لِدِينِ الله، وَجُنْدِيًّا مُخْلِصًا، وَتَابِعًا لِلنَّبِيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، لَا أُسْتَاذًا مُرَبِّيًا، وَلَا عَالِمًا مُعَلِّمًا.

و- ثُمَّ إِنَّ وَرَقَةَ لَمْ يَلْبَثْ بَعْدَ هَذَا اللِّقَاءِ أَنْ تُوُفِّيَ، وَفَتَرَ الْوَحْيُ عَنْ رَسُولِ الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فَكَيْفَ تَكُونُ هَذِهِ الْمُقَابَلَةُ الْخَاطِفَةُ يُنْبُوعًا لِمَا جَاءَ بِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنَ الْوَحْي ؟.

ز- لَوْ ثَبَتَ أَنَّهُ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، أَخَذَ ذَلِكَ مِنْ وَرَقَةَ لَمَا سَكَتَ أَعْدَاؤُهُ أَبَدًا، وَلَرَوَّجُوا ذَلِكَ، وَسَارُوا بِهِ فِي النَّاسِ جَمِيعًا، وَهُمُ الَّذِينَ تَشَبَّثُوا بِمَا هُوَ أَوْهَى مِنْ ذَلِكَ.

رَابِعًا: إِنَّ مَا زَعَمُوهُ مِنْ أَنَّهُ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، أَخَذَ مَا جَاءَ بِهِ مِنْ (صُهَيْبٍ الرُّومِيِّ) لَهُوَ مِنْ أَبْطَلِ الْبَاطِلِ؛ إِذْ إِنَّ صُهَيْبًا هَذَا كَانَ حَدَّادا يَصْنَعُ السُّيُوفَ، أَعْجَمِيَّ اللِّسَانِ، وَلِذَا قَالَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾ (النحل).

---

١) انظر : "أسوة للعاملين" ص (٣٤٥)، وما بعدها . والحديث رواه البخاري برقم (٣).

والمعنى: كَيْفَ يَتَعَلَّمُ مَنْ جَاءَ بِهَذَا الْقُرْآنِ، فِي فَصَاحَتِهِ وَبَلَاغَتِهِ، وَمَعَانِيهِ التَّامَّةِ الشَّامِلَةِ، الَّتِي هِيَ أَكْمَلُ مِنْ مَعَانِي كُلِّ كِتَابٍ نَزَلَ عَلَى نَبِيٍّ أُرْسِلَ؛ كَيْفَ يَتَعَلَّمُ مِنْ رَجُلٍ أَعْجَمِيٍّ؟!

لَا يَقُولُ هَذَا مَنْ لَهُ أَدْنَى حَظٍّ مِنَ الْعَقْلِ، وَلَيْتَ شِعْرِي: لَوْ كَانَ لِصُهَيْبٍ أَنْ يَكُونَ مَرْجِعًا عِلْمِيًّا كَمَا أَرَادُوا أَنْ يَصِفُوهُ، فَمَا الَّذِي مَنَعَ كُفَّارَ مَكَّةَ أَنْ يَأْخُذُوا عَنْهُ، كَمَا أَخَذَ صَاحِبُهُمْ؟ وَبِذَلِكَ كَانُوا يَسْتَرِيحُونَ مِنْ عَنَائِهِ، بَلْ مَا مَنَعَ صُهَيْبًا أَنْ يُبْدِيَ لِلْعَالَمِ صَفْحَتَهُ، فَيَنَالَ فِي التَّارِيخِ شَرَفَ الْأُسْتَاذِيَّةِ، أَوْ يَتَوَلَّى بِنَفْسِهِ تِلْكَ الْقِيَادَةَ الْعَالَمِيَّةَ؟ بَلْ مَا مَنَعَهُ أَنْ يَدَّعِيَ النُّبُوَّةَ، فَيَنْسُبَ لِنَفْسِهِ هَذَا الْمَجْدَ وَالْفَخَارَ؟ إِنَّ فِي عَدَمِ ادِّعَاءِ صُهَيْبٍ شَيْئًا مِمَّا سَبَقَ، وَعَدَمِ ثُبُوتِهِ عَنْهُ، مَعَ صِحَّةِ إِيمَانِهِ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - دَلِيلًا عَلَى صِدْقِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

خَامِسًا: مَا زَعَمُوهُ مِنْ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تَلَقَّى الْوَحْيَ مِنْ عُلَمَاءِ أَهْلِ الْكِتَابِ فِي عَصْرِهِ مَحْضُ افْتِرَاءٍ يَرُدُّهُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ الَّذِي حَفُلَ بِجِدَالِهِمْ وَمُحَاوَرَاتِهِمْ فِي الْعَقَائِدِ وَالتَّوَارِيخِ وَالْأَحْكَامِ.

فَالنَّاظِرُ فِي مُحَاوَرَاتِ الْقُرْآنِ لَهُمْ يَرَى بِأَيِّ لِسَانٍ يَتَكَلَّمُ عَنْهُمُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ، إِنَّهُ يُصَوِّرُ عُلُومَهُمْ بِأَنَّهَا الْجَهَالَاتُ، وَعَقَائِدَهُمْ بِأَنَّهَا الضَّلَالَاتُ، وَأَعْمَالَهُمْ بِأَنَّهَا الْمُنْكَرَاتُ.

نَعَمْ. لَا يُعْقَلُ أَنْ يَصِفَهُمُ الْقُرْآنُ بِذَلِكَ ثُمَّ يَقِفُونَ مِنْ صَاحِبِ هَذِهِ النُّبُوَّةِ مَوْقِفَ الْمُرْشِدِ النَّاصِحِ! اقْرَأْ إِنْ شِئْتَ قَوْلَ اللهِ تَعَالَى: ﴿ **وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ**

﴿٣٠﴾ ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ﴾ (التوبة)، وَقَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَبِكُفۡرِهِمۡ وَقَوۡلِهِمۡ عَلَىٰ مَرۡيَمَ بُهۡتَٰنًا عَظِيمٗا ﴿١٥٦﴾ وَقَوۡلِهِمۡ إِنَّا قَتَلۡنَا ٱلۡمَسِيحَ عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمۡ﴾(النساء) إِلَى أَنْ قَالَ ﷻ: ﴿وَبِصَدِّهِمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرٗا ﴿١٦٠﴾ وَأَخۡذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدۡ نُهُواْ عَنۡهُ وَأَكۡلِهِمۡ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ﴾ (النساء).

فَلَوْ كَانُوا مُعَلِّمِينَ لَهُ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لَمَدَحَهُمْ، وَجَامَلَهُمْ، وَتَوَدَّدَ إِلَيْهِمْ،؛ حَتَّى لَا يَفْضَحُوا أَمْرَهُ، وَيَكْشِفُوا حَالَهُ.

ثُمَّ إِنَّ كَثِيرا مِنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ كَانُوا مَصْدَرَ الْوَحْيِ، قَدْ أَسْلَمُوا، وَإِسْلَامُهُمْ حُجَّةٌ قَائِمَةٌ عَلَى صِدْقِ نُبُوَّةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

سَادِسًا: مِنْ أَقْوَى مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْإِسْلَامَ لَمْ يَكُنْ مُقْتَبَسا مِنَ الْيَهُودِيَّةِ أَوِ النَّصْرَانِيَّةِ وُجُودُ الْخِلَافِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْعَقَائِدِ وَالْأَحْكَامِ؛ بَلْ جَعَلَ الشَّارِعُ الْحَكِيمُ جِنْسَ مُخَالَفَتِهِمْ أَمْرًا مَقْصُودًا لَهُ، وَهُنَاكَ كَثِيرٌ مِنَ الْأَحْكَامِ جُعِلَتِ الْعِلَّةُ فِيهَا مُخَالَفَةَ الْيَهُودِ أَوِ النَّصَارَى، مِنْ ذَلِكَ:

١- قَوْلُهُ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **{ إِنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى لَا يَصْبغُونَ فَخَالِفُوهُمْ }**(١).

٢- وَقَوْلُهُ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ:**{ خَالِفُوا الْيَهُودَ فَإِنَّهُمْ لَا يُصَلُّونَ فِي نِعَالِهِمِ وَلَا**

---

١) رواه البخاري برقم (٣٤٦٢) ، ورواه مسلم برقم (٢١٠٣).

خِفَافِهِمْ }(١).

٣- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ الْيَهُودَ كَانُوا إِذَا حَاضَتِ الْمَرْأَةُ فِيهِمْ لَمْ يُؤَاكِلُوهَا، وَلَمْ يُجَامِعُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ، فَسَأَلَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ ﴾ (البقرة). فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { اصْنَعُوا كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا النِّكَاحَ }، فَبَلَغَ ذَلِكَ الْيَهُودَ فَقَالُوا: « مَا يُرِيدُ هَذَا الرَّجُلُ أَنْ يَدَعَ مِنْ أَمْرِنَا شَيْئًا إِلَّا خَالَفَنَا فِيهِ »(٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: « فهذا الحديث يدل على كثرة ما شرعه الله لنبيه من مخالفة اليهود، بل على أنه خالفهم في عامَّة أمورهم، حتى قالوا: « ما يريد أن يدع من أمرنا شيئًا إلا خالفنا فيه »(٣) .

فهذا إقرار من اليهود بمخالفة النَّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما كانوا عليه من شعائر حتى اشتهر ذلك بينهم، ألا يكفى ذلك برهانًا ساطعًا على بطلان قول المستشرقين: إنه كَيَّفَ شعائر الإسلام لتتفق مع شعائر اليهود؟.

أَوَ لَمْ يَكْفِهِم أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أخرج اليهود أذلاء من المدينة، وأجلاهم عنها لمّا

---

١) رواه أبو داود برقم (٦٥٢)، وصحَّحه الألباني .
٢) رواه مسلم برقم (٣٠٢).
٣) اقتضاء الصراط لمخالفة أصحاب الجحيم- ابن تيمية (١/ ٢١٥).

نقضوا عهودهم معه، وأبى عليهم أن يساكنوه في بلد واحد؟ ، وإلى هذا أشار المولى سبحانه وتعالى بقوله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِ ﴾ (الحشر:٢) .

أما وقف المستشرقون على الآيات والأحاديث العديدة الذامَّة لليهود، الهاتكة لستورهم؟ أفي ذلك أيضًا دلالة على أن النَّبيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ كان يتقرب منهم ويتزلف لهم لكسبهم وإرضائهم؟.

إن النَّبيَّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ منذ أن بُعِثَ وحُمِّل رسالة الإسلام، نَسَخَ الأديان السابقة، وأبطل شرعيتها، فلا نجاة لأحد من الخلق يهوديًّا كان أو نصرانيًّا إلا بالتزام شرعه، والسير على نَهجه، وهو القائل صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: **{ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ، وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ }**(١).

فلا بقاء لدين مع دينه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، ولا شريعة مع شريعته، قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِ ﴾ (المائدة: ٤٨)

سابعًا: ما زعموه من إرجاع كثير من شعائر الإسلام إلى اليهودية أو النصرانية، أو الاثنين معا، زعم باطل لما يلي:

---

١) رواه مسلم برقم (١٥٣).

أ- لأن استدلالهم بصوم عاشوراء على موافقة اليهود فيه، تأسَّس على ما جاء عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: « قَدِمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المَدِينَةَ فَرَأَى اليَهُودَ تَصُومُ يَوْمَ عَاشُورَاءَ، فَقَالَ: **{ مَا هَذَا؟ }** ، قَالُوا: هَذَا يَوْمٌ صَالِحٌ هَذَا يَوْمٌ نَجَّى اللهُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ عَدُوِّهِمْ، فَصَامَهُ مُوسَى، قَالَ: **{ فَأَنَا أَحَقُّ بِمُوسَى مِنْكُمْ }** ، فَصَامَهُ، وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ »(١).

فَفعِلّةُ الموافقة الواردة في الحديث هي التي بنى عليها المستشرقون شبهتهم السابقة، ويجاب عليها بالآتي:

١- لقد ثبت أن النَّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كان يصوم عاشوراء في الجاهلية قبل قدومه المدينة، ويدل على ذلك قولُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: « كَانَ يَوْمُ عَاشُورَاءَ تَصُومُهُ قُرَيْشٌ فِي الجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصُومُهُ، فَلَمَّا قَدِمَ المَدِينَةَ صَامَهُ، وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ، فَلَمَّا فُرِضَ رَمَضَانُ تَرَكَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ، فَمَنْ شَاءَ صَامَهُ، وَمَنْ شَاءَ تَرَكَهُ »(٢) .

وَفِي رِوَايَةٍ: **{ لَيْسَ يَوْمُ عَاشُورَاءَ بِالْيَوْمِ الَّذِي يَقُولُهُ النَّاسُ، إِنَّمَا كَانَ يَوْمَ تُسْتَرُ فِيهِ الْكَعْبَةُ }**(٣). فدل بهذا على أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لم يَصُمْهُ موافقة لليهود، واقتداء بهم، وإنما صامه وأُمِر بصيامه تقريرًا لتعظيمه وتأكيدًا، وأخبر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه

---

١) رواه مسلم برقم (٢٠٠٤).
٢) رواه البخاري برقم (٢٠٠٢).
٣) رواه الطبراني في المعجم الكبير برقم (٤٨٧٦) .

وأمته أحق بموسى من اليهود، فإذا صامه موسى شكرًا لله، كنا أحق أن نقتدي به من اليهود، لاسيما إذا قلنا: **إن شرعَ مَن قبلَنا شرعٌ لنا ما لم يخالفْ شرعَنا**.

٢- إن النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَيّن نوع مخالفته لليهود في صيام عاشوراء، عندما شرع صيام يوم قبله، أو بعده، فعَنَ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَقُولُ: « حِينَ صَامَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ، وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ الله إِنَّهُ يَوْمٌ تُعَظِّمُهُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **{ فَإِذَا كَانَ الْعَامُ الْمُقْبِلُ إِنْ شَاءَ اللهُ صُمْنَا الْيَوْمَ التَّاسِعَ }** قَالَ: فَلَمْ يَأْتِ الْعَامُ الْمُقْبِلُ، حَتَّى تُوُفِّيَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»[١] وعنه أيضًا مرفوعًا: قَالَ: قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **{ صُومُوا يَوْمَ عَاشُورَاءَ، وَخَالِفُوا فِيهِ الْيَهُودَ، صُومُوا قَبْلَهُ يَوْمًا، أَوْ بَعْدَهُ يَوْمًا }**[٢]. فدل ذلك على مخالفته لهم في صيامه.

ب- وأما زعمهم أن المؤمنين كانوا لا يصلون في مكة إلا مرتين في اليوم، ثم أدخلت صلاة ثالثة عندما ذهبوا إلى المدينة على غرار اليهودية، فهو زعم في وهن خيط العنكبوت، إذ الصلوات الخمس فُرِضَتْ بمكة ليلة الإسراء، حين عُرِج بالنَّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إلى السماء، ولا خلاف بين أهل العلم، وأهل السير في ذلك.

وهذا الذي دلت عليه الأحاديث الصحيحة، التي وردت في صفة الإسراء والمعراج في الصحيحين وغيرهما، من أحاديث جماعة من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفى أحدها قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **{ لَمْ أَزَلْ أَرْجِعُ بَيْنَ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَبَيْنَ مُوسَى**

---

١) رواه مسلم برقم (١١٣٤).
٢) رواه أحمد برقم (٢١٥٤).

عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّهُنَّ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، لِكُلِّ صَلَاةٍ عَشْرٌ، فَذَلِكَ خَمْسُونَ صَلَاةً }(١) .

جـ- وأما زعمهم أنه جعل الجمعة، يوم صلاة عامة، على غِرار السبت عند اليهود، فهو أيضًا قول مخالف للصواب، لأن الله سبحانه شرع لعباده المؤمنين الاجتماع لعبادته يوم الجمعة، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٩﴾ (الجمعة).

وقد ثبت أن الله عزَّ وجلَّ أمَرَ الأممَ السابقةَ بتعظيمِه، فَضَلُّوا عنه، واختار اليهودُ السبتَ، والنصارى الأحدَ ، وفضَّل الله هذه الأمة بيوم الجمعة لفضيلته :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وعَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَا: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { **أَضَلَّ اللهُ عَنِ الْجُمُعَةِ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا، فَكَانَ لِلْيَهُودِ يَوْمُ السَّبْتِ، وَكَانَ لِلنَّصَارَى يَوْمُ الْأَحَدِ، فَجَاءَ اللهُ بِنَا فَهَدَانَا اللهُ لِيَوْمِ الْجُمُعَةِ، فَجَعَلَ الْجُمُعَةَ، وَالسَّبْتَ، وَالْأَحَدَ، وَكَذَلِكَ هُمْ تَبَعٌ لَنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، نَحْنُ الْآخِرُونَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، وَالْأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الْمَقْضِيُّ لَهُمْ قَبْلَ الْخَلَائِقِ** }(٢). ففي الحديث ذمٌّ لأهل الكتابين، على تفريطهم في يوم الجمعة.

---

١) رواه مسلم برقم (١٦٢).
٢) رواه مسلم برقم (٨٥٦).

ثم شرع صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، صيام يوم السبت، ويوم الأحد مخالفة لهما، كما جاء في حديث أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: « كَانَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصُومُ يَوْمَ السَّبْتِ وَيَوْمَ الْأَحَدِ أَكْثَرَ مِمَّا يَصُومُ مِنَ الْأَيَّامِ، وَيَقُولُ: **{ إِنَّهُمَا يَوْمَا عِيدِ الْمُشْرِكِينَ، فَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أُخَالِفَهُمْ }** »(١).

قال الحافظ ابن حجر: « وَأَشَارَ بِقَوْلِهِ يَوْمَا عِيدٍ إِلَى أَنَّ يَوْمَ السَّبْتِ عِيدٌ عِنْدَ الْيَهُودِ وَالْأَحَدُ عِيدٌ عِنْدَ النَّصَارَى وَأَيَّامُ الْعِيدِ لَا تُصَامُ فَخَالَفَهُمْ بِصِيَامِهَا »(٢).

وأخيرًا: لعله قد اتضح لنا يقينًا، أن وحي الله تعالى (كتابًا وسنة) والذي بلغه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بعصمة الله له، لم يكن مأخوذًا من اليهودية أو النصرانية، وإنما هو من عند الله الحكيم الخبير، ومن ثَمَّ جاء الإسلام، دينًا قائمًا بذاته، متميِّزًا عن غيره، وإذا وجد تشابه بين نُسك إسلامي، وبين عمل سابق منسوب إلى شريعة اليهود أو النصارى فإن ذلك يدل على أن أصل الدين الذي جاء به رسل الله واحد. لقوله تعالى: ﴿ **وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥** ﴾ (الأنبياء).

وقال تعالى : ﴿ **شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ** ﴾(الشورى).

---

١) رواه أحمد برقم (٢٦٧٥٠).
٢) فتح الباري لابن حجر (١٠/ ٣٦٢).

وبيانًا لذلك وتأكيدًا له ، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { **أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَالْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ، أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ** }(١).

والمراد بـ (إخوة لعلات) الذين أمهاتهم مختلفة، وأبوهم واحد. أراد أن إيمانهم واحد، وشرائعهم مختلفة.

*****

١) متفق عليه : رواه البخاري برقم (٣٤٤٣) ، ورواه مسلم برقم (٢٣٦٥).

obeikandl.com